ضد اليهود

والأمم

ترجمة

كيرلس الأثري



للقديس

يوحنا ذهبي الفم

(ملحوظة)

تم ترجمة النص عن اللغة اليونانية

(ΕΠΕ), Έλληνες Πατέρες της Εκκλησίας
Ιωάννου του Χρυσοστόμου
Άπαντα τα ΕΡΓΑ, 34
Κατά Ιουδαίων και Εθνικών
εκδ. Γρηγόριος ο Παλαμάς, Θεσσαλονίκη 1988

(سلسلة آباء الكنيسة اليونان)

يوحنا ذهبي الفم

الأعمال الكاملة، المجلد ٣٤

"ضد اليهود والأمم"

منشورات غريغوريوس بالاماس، تسالونيكي ١٩٨٨

القديس يوحنا الذهبي الفم: **ضد اليهود والأمم**. **إثبات أن المسيح هو الله بناءً على ما قاله الأنبياء عنه في مواضع كثيرة من كتبهم**

(§ ١ – ٤).

١. لأن الكثير من الناس لا يطيقون بسهولة سماع الخطابات المطولة، إما لأن بعضهم كسالى بطبعهم، أو لأن آخرين قد انغمسوا بتفانٍ شديد في هموم الحياة، أو لأن غيرهم يسيطر عليهم جهل عظيم، فقد رأيت من الضروري أن أريحكم من عناء الإطالة، لكي أزيل الكسل عن الكسالى، وأقنع أولئك الذين يتجنبون القراءة بأن يستمعوا بشوق كبير لعرض هذه الرسالة.

لهذا السبب، لن أزين كلامي بكلمات وأسماء مزخرفة، بل سأضع الأسماء والكلمات بطريقة تكون سهلة الفهم للعبد والخادمة والأرملة والتاجر والبحار والمزارع، وسأحاول في كل موضع أن أختصر طول الحديث قدر الإمكان وأن أجعل التعليم موجزًا، لكي أثير بكلتا الطريقتين شهية المستمعين غير المبالين للاستماع بسهولة ودون تعب إلى ما سيقال، حتى تحفظوه في ذاكرتكم وتنتفعوا به. سأبدأ جهادي أولاً ضد الأمم.

فإذا قال الوثني: من أين يتضح أن المسيح هو الله؟ (لأنه يجب علينا منذ البداية أن نأخذ هذا كمسلّمة، بما أن كل الأمور الأخرى هي نتيجة له)، فإننا لن نبدأ الإثبات انطلاقًا من السماء، ولا من أمور أخرى مشابهة. لأنه إن قلت له إنه خلق السماء والأرض والبحر، فلن يتقبل ذلك؛ وإن قلت له إنه أقام الموتى، وشفى العميان، وأخرج الشياطين، فلن يقبل هذا أيضًا؛ وإن قلت له إنه وعد بملكوت السماوات والخيرات التي لا توصف، وإن كلمته عن القيامة، فلن يقبلها فحسب، بل سيسخر أيضًا.

فكيف إذن نقرّبه إلينا، خاصة إذا كان شخصًا عاديًا؟ من أين غير تلك الأمور المقبولة والمعترف بها من قبلي ومن قبله على حد سواء، والتي لا جدال فيها ولا

شك لديه بشأنها؟ لأنه إن قلت له إنه خلق السماء والأمور الأخرى التي ذكرتها سابقًا، فلن يقتنع بسهولة. فما هي تلك الأمور التي يعترف هو نفسه بأنه فعلها ولا يستطيع أن يقدم أي اعتراض عليها؟ أنه هو الذي غرس جنس المسيحيين؛ لأنه لا يستطيع أن ينكر أنه هو الذي أسس الكنائس الموجودة في كل أنحاء المسكونة.

من هذه الأمور سنثبت قوته، وسنبين أنه الله، وسنقول له إنه ليس من عمل إنسان عادي أن تنتشر التعاليم في مثل هذا الوقت القصير في كل المسكونة، في البر والبحر، وخاصة عندما كان يدعو الناس إلى مثل هذه الأمور، وأناسًا كانوا قد تشبعوا بعاداتهم السيئة، أو بالأحرى كانوا مستعبدين لمثل هذا الشر العظيم.

ومع ذلك، تمكن من تحرير الجنس البشري من كل هذا، ليس فقط الرومان، بل والفرس وجميع أمم البرابرة بشكل عام. وقد حقق كل هذا، ليس باستخدام الأسلحة، ولا بإنفاق الأموال، ولا بتحريك الجيوش ضدهم وإثارة الحروب، بل كان معه في البداية أحد عشر رجلاً، مغمورين، بسطاء، أميين، عاديين، فقراء، رثي الثياب، عُزّل، حفاة، يرتدون قميصًا واحدًا فقط.

ولكن لماذا أقول، تمكن؟ لقد استطاع أن يقنع هذا العدد الكبير من قبائل البشر بأن يتفلسفوا ليس فقط بشأن الخيرات الحاضرة، بل والمستقبلية أيضًا، وأن يلغوا قوانين آبائهم، وأن يقتلعوا عاداتهم القديمة المتجذرة لسنوات عديدة وأن يغرسوا أخرى بدلاً منها، وأخذهم من الأمور السهلة وقادهم إلى أموره الصعبة، وحقق كل هذا بينما كان الجميع يحاربونه وبعد أن احتمل السخرية والصليب وذلك الموت المشين.

بالطبع لا يمكنهم الاعتراض على هذه الأمور، أي أنه صُلب من قبل اليهود وأنه عانى منهم شرورًا لا حصر لها، وأن الكرازة تتقدم يوميًا. والأمر المدهش هو أنها تزدهر ليس هنا فقط، بل وعند الفرس أيضًا، على الرغم من أنهم ما زالوا

يحاربونها حتى الآن. وعلى الرغم من وجود عدد كبير من الشهداء بينهم حتى الآن، إلا أن أولئك الذين كانوا أشرس من الذئاب، بعد أن قبلوا الكرازة، أصبحوا أودع من الخراف، ويتفلسفون حول الخلود والقيامة والخيرات التي لا توصف.

٢. وهذه الإنجازات لم تتحقق في المدن فقط، بل وفي الصحراء والقرى والجزر والمرافئ والموانئ. وليسوا فقط أفرادًا عاديين ولا حكامًا بسطاء، بل حتى أولئك الذين يرتدون التيجان الملكية، قد خضعوا بإيمان عظيم للمصلوب. وسأحاول الآن أن أثبت أن كل هذا لم يحدث بالصدفة، بل بعد نبوءة قيلت قبل زمن طويل.

ولكن الأفضل، لكي لا يُعتبر كلامي مشبوهًا، من الضروري أن أقدم أمامكم كتب اليهود الذين صلبوه، وأن أذكر أمام أعين الذين لا يؤمنون، كل الشهادات عنه من الكتب المقدسة التي ما زالوا يحفظونها حتى اليوم.

فأول من قال إن الله سيصير إنسانًا، مع بقائه إلهًا، هو إرميا: «هذا هو إلهنا ولا يُعتبر آخر سواه. هو وجد كل طريق الحكمة وأعطاها ليعقوب عبده، ولإسرائيل حبيبه. بعد ذلك ظهر على الأرض وعاش بين الناس»[١]. هل رأيت كيف أوضح كل شيء في كلمات قليلة، وأنه بينما كان إلهًا، صار إنسانًا، وأنه عاش بين الناس، وأنه هو الذي شرّع العهد القديم أيضًا؟

لأنه يقول: «هو وجد كل طريق الحكمة وأعطاها ليعقوب عبده، ولإسرائيل حبيبه». يوضح هنا أنه حتى قبل ظهوره كإنسان، كان هو يدبر كل شيء وهو الذي فعل كل شيء، مانحًا الشريعة، ومعتنيًا، وراعيًا، ومحسنًا إلى الجميع. اسمع مرة أخرى ما يقوله نبي آخر، راغبًا في إظهار أنه لن يكون مجرد إنسان، بل سيولد من

---

١) باروخ ٣: ٣٦–٣٨. يتحدث القديس الذهبي الفم عن إرميا مستخدمًا نصًا من سفر باروخ، ليس عن طريق الخطأ، ولكن لأنه في ذلك الوقت كانت أسفار إرميا والمراثي وباروخ تُنسب تحت اسم إرميا.

عذراء: «ها العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل» (إشعياء ٧: ١٤) وهذا الاسم تفسيره «الله معنا».

ثم، لكي يوضح أن ما كان يظهر لم يكن خيالًا، بل كان إنسانًا حقًا، أضاف قائلاً: «لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير، تُهجَر الأرض التي أنت خائف من ملكيها» (إشعياء ٧: ١٦ - ملاحظة: الترجمة تتبع النص اليوناني الذي استخدمه القديس).

وأنه لن يصبح إنسانًا فقط ولن يولد من عذراء فقط، بل سينحدر أيضًا من نسل داود، اسمع كيف تنبأ إشعياء بهذا أيضًا قبل ذلك بوقت طويل، مستخدمًا كلمات رمزية ومجازية، ولكنه مع ذلك تنبأ به: «ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب، ويملأه روح مخافة الله» (إشعياء ١١: ١-٣)؛ لأن يسى هذا كان والد داود.

من الواضح من هذا أنه انحدر من تلك القبيلة أيضًا. وليس فقط أنه سينحدر من تلك القبيلة، بل وأنه سيأتي من بيت يسى، وهذا أيضًا تنبأ به، قائلاً: «ويخرج»، يقول، «قضيب من جذع يسى»، متحدثًا ليس عن مجرد قضيب، بل عنه هو نفسه وعن ملكوته. وأنه لم يقل هذا قاصدًا مجرد القضيب، أوضحه بما يلي. لأنه بعد أن قال: «ويخرج قضيب»، أضاف «ويحل عليه روح الحكمة والفهم».

بالطبع، لا أحد، حتى لو كان غبيًا جدًا، سيقول إن نعمة الروح ستأتي على الخشب، بل من الواضح أنها ستأتي على ذلك الهيكل الطاهر. لهذا لم يقل "سيأتي"، بل «سيحل»، لأنه بعد أن جاء الروح، بقي ولم يغادر. وهذا بالضبط ما أراد الإنجيلي يوحنا أن يعلنه عندما قال: «أنا قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه» (يوحنا ١: ٣٢).

كما أنهم لم يسكتوا عن الرأي اليهودي الذي عبروا عنه فور ولادته. حيث يقول متى: «فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع أورشليم معه» (متى ٢: ٣)، بينما اسمع كيف تنبأ إشعياء بهذا أيضًا قبل سنوات، قائلاً: «لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبًا، مشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام» (إشعياء ٩: ٦).

من الواضح تمامًا، حتى لأولئك الذين يصرون على الجدال، أنه لا يمكن لأحد أن يقول هذا عن إنسان عادي. لأنه لم يُدعَ أي من البشر منذ بداية الدهور إلهًا قديرًا، ولا رئيسًا لمثل هذا السلام؛ لأنه يقول: «لنمو رياسته وللسلام لا نهاية» (إشعياء ٩: ٧). وتؤكد طبيعة الأمور هذا، أن هذا السلام، منذ اليوم الذي قال فيه المسيح قبل صعوده إلى السماوات بقليل: «سلامًا أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يوحنا ١٤: ٢٧)، قد شمل الأرض كلها، والبحر كله، والمسكونة كلها، والصحراء كلها، وكذلك الجبال والوديان والتلال.

ولماذا يا ترى تحدث المسيح هكذا عن السلام؟ لأن سلام البشر ينهار بسهولة وله تغيرات كثيرة، بينما السلام الذي يعطيه هو ثابت، لا يتغير، راسخ، دائم، خالد، لا نهاية له، وكل هذا بينما تقوم ضده من كل مكان حروب لا حصر لها، وتحدث يوميًا مؤامرات لا تعد ولا تحصى. لكن كلمة ذاك الذي يحقق كل شيء، قد حققت هذا أيضًا مع الأمور الأخرى.

٣. ولم يتنبأوا فقط بأنه سيصبح إنسانًا، بل وبطريقة ظهوره على الأرض أيضًا. فلأنه كان سيأتي دون أن يُسقط برقًا ورعودًا من السماء، ودون أن يهز الأرض، ودون أن يزلزل السماء، ودون أن يقوم بأي أعمال مذهلة، بل على العكس، وُلد بهدوء ودون أن يعرف أحد، في بيت نجار، في بيت مغمور ومتواضع، اسمع

كيف لم يسكت داود عن هذا، قائلاً: «ينزل مثل المطر على الجزة» (مزمور ٧٢: ٦)، راغبًا في أن يعلن بهذا حضوره الهادئ الساكن.

وليس هذا فقط، بل نبي آخر، راغبًا في إظهار تعامله الهادئ والمليء بالوداعة مع الناس، انتبه لما يقوله. فلأنه بينما كان يُشتم، ويُبصق عليه، ويُهان، ويُجلد، وأخيرًا صُلب، لم يدافع عن نفسه ضد أي ممن فعلوا به هذه الأمور، بل احتمل كل شيء بطول أناة ووداعة، أي الإهانات، والمؤامرات، والجنون، والغضب غير المبرر لذلك الشعب، والهجمات، راغبًا في إعلان كل هذا، قال: «قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ، حتى يخرج الحق إلى النصرة. وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» (إشعياء ٤٢: ٣).

نبي آخر يتنبأ أيضًا بالمكان الذي كان سيولد فيه، قائلاً: «وأنت يا بيت لحم، أرض يهوذا، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل. ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل» (ميخا ٥: ٢). هذا يظهر ألوهية المسيح وإنسانيته معًا. لأنه بقوله: «ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل»، أعلن عن وجوده الأزلي، بينما بقوله: «يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل»، أعلن عن ولادته الجسدية.

وانتبه مرة أخرى كيف تتألق هنا نبوءة أخرى. لأنه لم يقل فقط إنه سيولد، بل وإن القرية التي سيولد فيها ستصبح لامعة، على الرغم من أنها كانت مغمورة وصغيرة. لأنه يقول: «لست الصغرى بين رؤساء يهوذا». والآن كل المسكونة تهرع لترى بيت لحم، حيث وُضع عند ولادته، لا لسبب آخر سوى من أجله.

نبي آخر أعلن أيضًا عن الزمن الذي كان سيأتي فيه، قائلاً ما يلي: «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب. رابطًا بالكرمة جحشه، وبالجفنة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسه، وبدم

العنب ثوبه. مسود العينين من الخمر، ومبيض الأسنان من اللبن» (تكوين ٤٩: ١٠-١٢).

انتبه إلى هذه النبوءة المتألقة أيضًا. لأنه جاء في ذلك الوقت، عندما زال حكام اليهود وكانوا تحت سيطرة الرومان، وهكذا تحققت تلك النبوءة التي تقول: «لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي الذي له السلطان»، قاصدًا المسيح. لأنه عندما وُلد، حدث في نفس الوقت أول إحصاء، بعد سيطرة الرومان على الأمة اليهودية وخضوعهم لنير ملكهم. ثم يشير إلى شيء آخر، قائلاً: «وهو انتظار الأمم»؛ لأنه بمجيئه إلى العالم جذب كل الأمم.

كان هيرودس، سعيًا لمعرفة مكان ولادته، سيقتل أطفال تلك المنطقة. ولم يسكت الأنبياء عن هذا أيضًا، بل تنبأوا به قبل سنوات عديدة، قائلين: «صوت سمع في الرامة، نوح وبكاء وعويل كثير. راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى، لأنهم ليسوا بموجودين» (إرميا ٣١: ١٥). كان سيعود من مصر؛ وهذا أيضًا تنبأوا به، قائلين: «من مصر دعوت ابني» (هوشع ١١: ١).

ولكن أيضًا بانتقاله إلى أماكن معينة كان سيعلّم علنًا ويصنع معجزات على الفور؛ وهذا أيضًا قيل مسبقًا. اسمع إذن ما يقوله إشعياء: «أرض زبولون وأرض نفتاليم... الشعب السالك في الظلمة أبصر نورًا عظيمًا. الجالسون في أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور» (إشعياء ٩: ١-٢). بهذه الكلمات يعلن عن حضور المسيح هناك، وتعليمه، ومعرفته من خلال معجزاته.

ثم، وهو يروي معجزات أخرى ويظهر كيف شفى العرج، وكيف منح النور للعميان، وكيف أعطى النطق للخرس، يقول: «حينئذ تنفتح عيون العمي وآذان الصم تتفتح». وبعد ذلك مباشرة: «حينئذ يقفز الأعرج كالإيل، ويترنم لسان الأخرس» (إشعياء ٣٥: ٥-٦)، وهو أمر لم يحدث في أي وقت آخر، إلا أثناء حضوره. بعض معجزاته ذكرها الأنبياء بطريقة خاصة جدًا. فقد دخل مرة إلى

الهيكل والأطفال الذين ما زالوا يرضعون ولا يستطيعون نطق الكلمات، رنموا له ترانيم مقدسة، قائلين ما يلي: «أوصنا في الأعالي. مبارك الآتي باسم الرب» (متى ٢١: ٩).

هذا قاله النبي مسبقًا بهذه الكلمات: «من أفواه الأطفال والرضع هيأت سبحًا لإسكات العدو والمنتقم» (مزمور ٨: ٢). هل ترى كيف أن الطبيعة نفسها تكافح لتعلن عن خالقها، وكيف أن الرضع الأبرياء، غير القادرين بعد على نطق كلمة، تولوا عملاً رسوليًا؟

٤. متحدثًا في موضع آخر إلى اليهود، ولأنه بسبب جحودهم كان يقول معظم الأشياء بشكل مستتر، في صورة ألغاز وأمثال، فقد تُنبئ بهذا أيضًا مسبقًا: «سأتكلم بأمثال منذ القدم، سأكشف عن أمور كانت مخفية منذ البداية» (مزمور ٧٧: ٢). ولكن أيضًا، متنبئًا بحكمة كرازته مسبقًا، يقول النبي: «انسكبت النعمة على شفتيك» (مزمور ٤٥: ٢).

نبي آخر يقول: «هوذا عبدي يعقل، يتعالى ويرتقي ويتسامى جدًا» (إشعياء ٥٢: ١٣). ويروي هذا النبي نفسه مرة أخرى باختصار إنجازات حضوره على الأرض المصحوبة بالمعجزات، فيقول ما يلي: «روح السيد الرب علي، لأن الرب مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعتق، وللمأسورين بالإطلاق» (إشعياء ٦١: ١).

ولأنه كان سيُنكرونه بشكل غير مبرر ودون أن يكون لديهم أي اتهام صغير أو كبير ضده، هو الذي أحسن إليهم كثيرًا، فقد تُنبئ بهذا أيضًا. اسمع إذن داود الذي يتنبأ بهذا بالضبط، قائلاً ما يلي: «مع مبغضي السلام كنت صاحب سلام. حين كنت أتكلم، كانوا هم يحاربونني بلا سبب» (مزمور ١٢٠: ٦–٧).

كان سيدخل المدينة راكبًا على حمار، وهذا أيضًا تنبأ به زكريا مسبقًا، قائلاً ما يلي: «ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون، اهتفي يا ابنة أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك وديعًا وراكبًا على حمار وعلى جحش ابن أتان» (زكريا ٩: ٩).

طرد من الهيكل أولئك الذين كانوا يبيعون الحمام وكذلك الصيارفة. فعل هذا غيرة على الهيكل، وفي نفس الوقت ليظهر أنه ليس معارضًا لله، بل متوافقًا مع الآب. لهذا السبب دافع عن الهيكل من البيع والشراء الذي كان يحدث هناك. وهذا أيضًا لم يُترك دون إعلان، بل تنبأ به النبي داود أيضًا وفسر مسبقًا الحالة التي سيفعل بها ذلك، قائلاً: «لأن غيرة بيتك أكلتني» (مزمور ٦٩: ٩). ما الذي يمكن أن يكون أوضح من هذا؟

كان سيسلَّم، والخيانة سيقوم بها ذاك الذي كان يجلس معه على المائدة. انتبه كيف تنبأ بهذا أيضًا هذا النبي نفسه، قائلاً: «الذي أكل خبزي، رفع عليّ عقبه» (مزمور ٤١: ٩). ولكن انتبه أيضًا إلى توافق الإنجيلي. لأنه يقول: «الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني» (متى ٢٦: ٢٣). كان الذي سيسلمه، لن يسلمه فحسب، بل سيبيع دمه الثمين ويأخذ مقابل هذا الفعل مالاً (متى ٢٦: ١٥ وما بعده).

ولم يسكت النبي عن هذا أيضًا، بل متنبئًا بالاتفاقات الوقحة والمحادثات التي ستكون بينهم، قال: «يا إله تسبيحي لا تسكت. لأنه قد انفتح عليّ فم الشرير وفم الغش» (مزمور ١٠٩: ١–٢).

هذا الخائن، نادمًا على ما فعله، ألقى الفضة وذهب وشنق نفسه (متى ٢٧: ٥)، منهيًا بذلك حياته وتاركًا زوجته أرملة، وأولاده أيتامًا، وبيته خرابًا. انتبه كيف يصور النبي هذه المأساة أيضًا، قائلاً ما يلي: «ليصر بنوه أيتامًا وامرأته أرملة. وليتيه بنوه تيهانًا ويستعطوا ويلتمسوا خبزهم من خربهم» (مزمور ١٠٩: ٩–١٠).

ولكن أيضًا، بعده أصبح متياس رسولاً (أعمال ١: ٢٦). وهذا أيضًا يتنبأ به هذا النبي نفسه، قائلاً: «وَلْيَأْخُذْ آخَرُ وَظِيفَتَهُ» (مزمور ١٠٩: ٨).

بعد أن خُيِّن وأُلقي القبض عليه بإرادته، عُقدت محكمة مليئة بالكثير من الإثم، من اليهود والأمم. انتبه كيف يتنبأ النبي بهذا أيضًا، قائلاً: «لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب في الباطل؟» (مزمور ٢: ١).

ولم يتنبأوا بهذه الأمور فقط، بل وصمته الذي أظهره عندما كانت تُطلق ضده الاتهامات وهو يقف بينهم صامتًا، ولإعلان هذا أيضًا، قال إشعياء: «كشاة تساق إلى الذبح، وكخروف صامت أمام جازيه هكذا لم يفتح فاه» (إشعياء ٥٣: ٧).

ثم، لكي يظهر فساد الحكم، أضاف: «في تواضعه انتُزع قضاؤه»، أي لم يحاكمه أحد بالعدل.

بعد ذلك يقول سبب ذبحه. فلأنه لم يكن يعاني ما يعانيه بسبب خطاياه، حيث كان بلا لوم ولا عيب، بل سُلِّم من أجل شرور الناس، انتبه كيف ألمح إلى كليهما، قائلاً: «الذي لم يعمل خطية، ولا وجد في فمه غش» (إشعياء ٥٣: ٩). بهذا أظهر سبب قتله.

ثم يضيف سببًا آخر: «من أجل آثام شعبي»، يقول، «سِقتُ إلى الموت» (إشعياء ٥٣: ٨). ولا يقول فقط سبب ذبحه، بل راغبًا في إظهار ما كانت عليه فائدة الصليب وذلك الذبح، انتبه كيف يتنبأ بهذا أيضًا، قائلاً: «كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه. وتأديب سلامنا عليه، وبجرحه شفينا» (إشعياء ٥٣: ٦).

ثم، لأنه كان من المقرر أن يعاقب اليهود على جرأتهم هذه، وهذا أيضًا يتنبأ به هذا النبي نفسه بما يقوله: «سأعطي الأشرار عقابًا بسبب دفنه والأغنياء بسبب موته» . وداود مرة أخرى، بعد أن قال: «لنقطع قيودهما ولنطرح عنا ربطهما»، أضاف: «الساكن في السماوات يضحك بهم. حينئذ يكلمهم بغضبه ويرجفهم بغيظه» (مزمور ٢: ٣-٥)، قاصدًا تشتتهم في كل أنحاء الأرض. وهذا بالضبط

ما يعلنه المسيح في الأناجيل، قائلاً: «أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي» (لوقا ١٩: ٢٧).

ثم، بعد أن تنبأوا بموته، لم يسكتوا عن طريقة موته، بل تنبأ بها داود أيضًا قائلاً ما يلي: «ثقبوا يدي ورجلي. أحصوا كل عظامي» (مزمور ٢٢: ١٦-١٧).

ولم يسكت أيضًا عن الإثم الذي ارتكبوه بعد الصليب، قائلاً مرة أخرى: «يقتسمون ثيابي بينهم، وعلى لباسي يلقون قرعة» (مزمور ٢٢: ١٨).

القديس يوحنا الذهبي الفم: ضد اليهود والأمم. إثبات أن المسيح هو اللّه بناءً على ما قاله الأنبياء عنه في مواضع كثيرة من كتبهم

(§٥– ٨).

٥. ثم إنه كان سيُدفن، وهذا أيضًا تنبأ به قائلاً: «وضعوني في الجب الأسفل، في ظلمات وفي ظل الموت» (مزمور ٨٨: ٦). وأنه كان سيقوم، انتبه كيف تنبأ بهذا أيضًا قائلاً: «لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، ولا تدع تقيّك يرى فسادًا»(مزمور ١٦: ١٠).

ويتنبأ إشعياء بالأمر نفسه مرة أخرى، بطريقة مختلفة، قائلاً: «أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن، إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح» (إشعياء ٥٣: ١٠–١١). وأن موته قدّم غفرانًا لخطايا البشر، وهذا أيضًا تنبأ به قائلاً: «وهو حمل خطية كثيرين» (إشعياء ٥٣: ١٢).

وأيضًا أنه حرر الناس من الشياطين، وهذا أيضًا قاله: «ومع العظماء يقسم غنيمة» (إشعياء ٥٣: ١٢). وأنه حقق هذا بموته، لم يسكت عن هذا أيضًا، بل يقول: «لأنه سكب للموت نفسه» (إشعياء ٥٣: ١٢). وأيضًا أنه كان سيسود على العالم، وهذا أيضًا أعلنه بما قاله: «وهو يملك على كثيرين» (إشعياء ٥٣: ١٢).

ثم، لأنه بنزوله إلى الجحيم أحدث اضطرابًا في كل شيء، وملأه بالضجيج والبلبلة ودمر قلعته، لم يسكتوا عن هذا أيضًا، بل تارة يصرخ داود ويقول: «ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن، وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات، فيدخل ملك المجد» (مزمور ٢٤: ٧)، وتارة أخرى يقول إشعياء بطريقة مختلفة إلى حد ما: «أنا أسير قدامك والهضاب أمهد. أكسر مصاريع النحاس، وأقطع مغاليق الحديد. وأعطيك كنوز الظلمة وذخائر المخابئ» (إشعياء ٤٥: ٢)، مسميًا بذلك الجحيم.

لأنه، على الرغم من أنه كان جحيمًا، إلا أنه كان يحتجز في سلطته نفوسًا مقدسة وأواني كريمة، إبراهيم وإسحق ويعقوب. لهذا السبب سماهم كنوزًا، ولكنها مظلمة، لأنه لم تكن شمس البر قد أشرقت هناك بعد، ولم تبشر بكلمات القيامة. وأنه بعد قيامته، لم يكن ليجلس مع الملائكة، ولا مع رؤساء الملائكة، ولا مع أي قوة سماوية أخرى، بل كان سيجلس على عرش ملكي، اسمع ما يقوله داود مرة أخرى: «قال الرب لربي، اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك» (مزمور ١١٠: ١).

بعد ذلك كان سيرسل رسلاً؛ وهذا أيضًا تنبأ به إشعياء قائلاً: «ما أجمل على الجبال قدمي المبشر، المخبر بالسلام، المبشر بالخير» (إشعياء ٥٢: ٧). وانتبه إلى أي جزء من الجسد يمدحه؛ يمدح القدمين، اللتين تحملانهم في كل مكان. بعد ذلك، كاشفًا داود عن طريقة انتصار التلاميذ، يقول: «الرب يعطي كلمة. المبشرات بها جند كثير» (مزمور ٦٨: ١١).

لأنهم لم ينتصروا بالأسلحة، ولا بإنفاق الأموال، ولا بالقوة الجسدية، ولا بجموع الجيوش، أو بأي شيء آخر مشابه، بل بالكلمة البسيطة، بالكلمة التي احتوت على قوة عظيمة، والتي شهدت عليها المعجزات التي كانوا يصنعونها. لأنهم انتصروا في كل المسكونة مبشرين بالمصلوب وصانعين المعجزات. لهذا يقول: «الرب يعطي كلمة للمبشرين بقوة عظيمة»، قاصدًا بالـ"قوة" المعجزات.

حقًا كانت قوة لا توصف أن يقوم الصياد والعشار وصانع الخيام بأمر بسيط بإقامة الموتى، وطرد الشياطين، وإبعاد الموت، وإسكات الفلاسفة، وإغلاق أفواه الخطباء، وإخضاع الملوك والحكام، والسيطرة على البرابرة واليونانيين وكل أمة أخرى. وقد تحدث بحق هكذا. لأنهم حققوا كل هذا بتلك الكلمة، وبتلك القوة العظيمة أعادوا الموتى إلى الحياة، وجعلوا الخطاة أبرارًا، ومنحوا البصر للعميان، وحرروا الجسد من الأمراض والنفس من الشر.

ولكن من أين أُعطيت لهم هذه القوة؟ إنها أُعطيت من الروح القدس، وهذا أيضًا يثبت من قوله: «وامتلأ الجميع من الروح القدس» (أعمال ٢: ٤). وكان الرجال والنساء يتنبأون على حد سواء. وألسنة منقسمة كأنها من نار استقرت على كل واحد منهم (أعمال ٢: ٣ وما بعده). وهذا قاله يوئيل مسبقًا، قائلاً ما يلي: «ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويحلم شيوخكم أحلامًا، ويرى شبابكم رؤى. وعلى العبيد أيضًا وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام، قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف» (يوئيل ٢: ٢٨)، مسميًا «يومًا عظيمًا ومخوفًا» يوم حلول الروح القدس، وكذلك يوم المنتهى الذي سيأتي. هذا النبي نفسه، متنبئًا بالخلاص عن طريق الإيمان (لأن هذا أيضًا لم يُسكَت عنه)، يقول: «ويكون أن كل من يدعو باسم الرب ينجو» (يوئيل ٢: ٣٢).

٦. سيرسل مبشرين إلى كل العالم ولن يكون هناك من لا يسمع الكرازة؛ وهذا قد قيل مسبقًا. اسمع إذن داود يقوله ويتنبأ به: «في كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم» (مزمور ١٩: ٤). ثم مبينًا أنهم كانوا يكرزون بسلطان وأنهم كانوا أقوى حتى من أولئك الذين يرتدون التيجان الملكية، يقول هو نفسه مرة أخرى في موضع آخر: «تقيمهم رؤساء في كل الأرض» (مزمور ٤٥: ١٦).
وأن بطرس وبولس كانا أسمى من الملوك والحكام، تظهره الحقائق. فقوانين الملوك تُلغى وهم لا يزالون على قيد الحياة، بينما قوانين أولئك الصيادين، حتى بعد موتهم، راسخة بقوة وتبقى ثابتة، على الرغم من أن الشياطين والعادة القديمة والشر واللذة وأشياء أخرى لا حصر لها حاولت الإطاحة بها.
ولكي يظهر مرة أخرى أنهم، بعد أن يصبحوا حكام العالم، سيكونون محبوبين من الجميع ومرغوبين، أضاف وقال: «لذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد»

(مزمور ٤٥: ١٧)؛ أي سيشكرونك ويدينون لك بفضل عظيم، لأنك أعطيتهم مثل هؤلاء الحكام.

ولكن أن الكرازة ستنتشر في كل مكان، هذا أيضًا قيل مسبقًا. انتبه إلى داود الذي يعلن لك هذا بما يقوله: «اسألني فأعطيك الأمم ميراثًا لك، وأقاصي الأرض ملكًا لك» (مزمور ٢: ٨). ونبي آخر أيضًا في موضع آخر يعلن نفس الشيء: «لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر» (إشعياء ١١: ٩).

انتبه أيضًا إلى سهولة الطاعة له: «ولا يعلّمون بعد كل واحد قريبه، وكل واحد أخاه، قائلين: اعرفوا الرب، لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم» (إرميا ٣١: ٣٤). ولكن أيضًا، ثبات الكنيسة الذي لا يتزعزع قد قيل مسبقًا: «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتًا في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم» (إشعياء ٢: ٢).

وأن الكنيسة لن تكون ثابتة وغير متزعزعة فحسب، بل ستساهم أيضًا في سيادة السلام في العالم، وأن التعددية الحاكمة والملكية الفردية في المدن ستُلغى وستُؤسس مملكة واحدة، تشملهم جميعًا ويسود في معظمها السلام وليس كما كان من قبل. لأنه في السابق كان جميع الحرفيين والخطباء يحملون السلاح ويكونون مستعدين للقتال، ولكن عندما جاء المسيح، تبدد كل ذلك واقتصرت الحرب على أماكن معينة.

وهذا أيضًا، معلنًا إياه، قال أحد الأنبياء: «ويطبعون سيوفهم سككًا، ورماحهم مناجل. لا ترفع أمة على أمة سيفًا، ولا يتعلمون الحرب فيما بعد» (إشعياء ٢: ٤). لأنه في السابق كان الجميع يعيشون في حروب، بينما الآن نسوا حتى فن الحرب نفسه، أو بالأحرى معظم الناس لم يعرفوه قط. ولكن إذا كانت الحروب تحدث الآن، فهي قليلة وليست مستمرة ولا كثيرة، كما كانت في الماضي حيث كانت تندلع في كل أمة آلاف الثورات.

ثم لكي يظهر ممن ستتألف الكنيسة، يتنبأ بهذا أيضًا. فلأنه كان من المقرر أن يشكلوا قطيعًا واحدًا، ليس فقط من أناس ذوي طابع لطيف ووديع وفاضل، بل وأيضًا من أناس متوحشين وغير إنسانيين ومثل الذئاب والأسود والثيران في طبعهم، وأن يشكل كل هؤلاء كنيسة واحدة، اسمع كيف أعلن النبي تنوع هذا القطيع قائلاً: «فيسكن الذئب مع الخروف» (إشعياء ١١: ٦)، قاصدًا بذلك بساطة حياة الملوك.

وأن هذه الأمور لا تقال عن الحيوانات، فليقل لنا اليهودي، متى حدث هذا؛ لأنه لم يرعَ الذئب قط مع الخروف؛ ولكن حتى لو كان سيرعى، فما الفائدة من ذلك للبشرية؟ لذلك، يقصد بهذا طبع الناس المتوحشين، أي السكيثيين، والتراقيين، والموريين، والهنود، والسارماتيين، والفرس.

وأن كل هذه الأمم ستعيش تحت سلطة واحدة، أعلن نبي آخر ذلك قائلاً: «ليعبدوه بكتف واحدة. من كل مكان يأتي سجودي» (صفنيا ٣: ٩–١٠). ليس فقط في أورشليم، بل في كل العالم. لأن الناس لم يعودوا يُحثون على الذهاب إلى أورشليم، بل كل واحد يؤدي عبادة الله في وطنه (يوحنا ٤: ٢٠ وما بعده).

٧. أنه كان من المقرر أن يُحرم اليهود من الوعود، لم يُسكَت عن هذا أيضًا. وانتبه كيف تنبأ النبي بهذا أيضًا: «من منكم يغلق الباب، بل لا توقدون على مذبحي مجانًا؟» (ملاخي ١: ١٠). ولكن أيضًا من سيعبدونه، هذا أيضًا قيل مسبقًا. «لأنه من مشرق الشمس»، يقول، «إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم»؛ ومرة أخرى «وفي كل مكان يُقرَّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة» (ملاخي ١: ١١).

هل رأيت كيف أظهر نبل العبادة؟ وكيف تميزها واختلافها؟ وأن عبادة الله لن تحددها المكان، بل الطريقة، ولن تتم بالذبائح والأدخنة، بل بطريقة عبادة أخرى؟ (يوحنا ٤: ٢٣-٢٤).

وكيف، يقول، جذب الرسل كل هؤلاء؟ ذاك الذي كان يعرف لغة واحدة فقط، اليهودية، كيف أقنع السكيثي والهندي والسارماتي والتراقي؟ بأخذ موهبة تعدد الألسن هذه من عطية الروح القدس (أعمال ٢: ٣ وما بعده). وهذا بالطبع فيما يتعلق بالأمم؛ أما بالنسبة لإسرائيل، فقد نال موهبة الألسن. وأن هذا أيضًا لم يجذب اليهود، اسمع كيف يظهر النبي ذلك، قائلاً: «بشفة لكناء وبلسان آخر أكلم هذا الشعب، وهكذا أيضًا لا يسمعون لي، يقول الرب» (إشعياء ٢٨: ١١). ما الذي يمكن أن يكون أوضح من هذا؟

كان من المقرر أن لا يؤمن اليهود وأن يؤمن الأمم؛ وهذا قيل مسبقًا. اسمع إشعياء يعلن هذا ويقول: «أصغيت إلى الذين لم يسألوا. وجدت من الذين لم يطلبوني. قلت: هأنذا، هأنذا. لأمة لم تسم باسمي». بينما عن إسرائيل يقول: «بسطت يدي طول النهار إلى شعب متمرد، سائر في طريق غير صالح وراء أفكاره» (إشعياء ٦٥: ١-٢)؛ ومرة أخرى: «نبت قدامه كفرخ، وكعرق من أرض يابسة» (إشعياء ٥٣: ٢)؛ ومرة أخرى: «يا رب، من صدق خبرنا؟ ولمن استعلنت ذراع الرب؟» (إشعياء ٥٣: ١). لم يقل "لتعليمنا"، بل لما سمعناه من الله، ليظهر بذلك أنهم لم يكونوا يكرزون بشيء من عندياتهم.

وأن أمورنا كان يجب أن تُفضَّل على أمورهم وأن تصبح أكثر كرامة، هذا أيضًا تنبأ به موسى قائلاً: «أنا أغيرهم بما ليس شعبًا. بأمة غبية أغيظهم» (تثنية ٣٢: ٢١)، قاصدًا بـ "ما ليس شعبًا" الدناءة السابقة للأمم؛ لأنهم لم يكونوا يعتبرون حتى شعبًا بسبب دناءتهم الكبيرة، وحماقتهم، وغبائهم. ولكن منذ أن آمنوا، حدث

تغيير كبير لدرجة أنهم أصبحوا أكثر كرامة بكثير من أولئك الذين كانوا مكرمين سابقًا.

وأن هذا كان سيؤلم اليهود ويجعلهم بسبب ذلك أفضل، هذا أيضًا يُعلن من هذه الأقوال. لأنه لم يقل ببساطة "سأفضلكم"، بل معلنًا في نفس الوقت هذا، أي الإصلاح الذي سيحدث لهم بسبب هذه الغيرة، «سأجعلكم تغارون»، يقول، «من أمة أخرى لا تعتبرونها أمة». كأنه يقول: "سأعطيهم خيرات كثيرة، لدرجة أنكم ستغارون، لدرجة أنكم ستتألمون". وهذا بالطبع جعلهم أفضل.

فأولئك الذين رأوا البحر ينشق، والصخور تتكسر، والهواء يتغير، وكثير من العجائب الأخرى، أو بالأحرى أولئك الذين كانوا يضحون بأبنائهم ويعبدون بعل فغور[٢] وكانوا متعلقين بسحر كثير، هؤلاء، لأننا أتينا إلى المسيح وأصبحت أمورنا مفضلة على أمورهم، تألموا كثيرًا من غيرتهم وأصبحوا أفضل وتقيدوا، لدرجة أن ما لم يتمكنوا من فعله بسماع الأنبياء ورؤية المعجزات، حققوه بسبب غيرتهم منا.

لأنه لم يعد أحد منهم يذبح أولاده ولا يركض وراء الأصنام، ولا يسجد لعجل. إن وقار البتولية في العهد القديم لم يكن موجودًا حتى بالاسم، بينما في العهد الجديد، لأنه كان من المقرر أن يضيء، انتبه كيف يتنبأ داود بهذا أيضًا، قائلاً ما يلي: «يُحضَرن إلى الملك عذارى خلفها، ويُقدن إلى هيكل الملك» (مزمور ٤٥: ١٤-١٥). ولكن لم يسكت أيضًا عن اسم الكهنة، أعني اسم الأساقفة. لأنه يقول: «وأجعل حكامك سلامًا، وولاتك برًا» (إشعياء ٦٠: ١٧).

٨. كان سيأتي ويطلب حسابًا من الناس ومع الآخرين من اليهود أيضًا. انتبه كيف يتنبأ بهذا كل من داود وملاخي. ملاخي قائلاً ما يلي: «ويجلس ممحصًا

---

٢) يتعلق الأمر بالإله الموآبي بعل، الذي كان يُعبد على جبل فغور، وحتى من قبل العديد من الإسرائيليين. انظر العدد ٢٥: ١-٩؛ ٣١: ١٦؛ التثنية ٤: ٣؛ يشوع ٢٢: ١٧.

ومنقيًا للفضة، فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة» (ملاخي ٣: ٣). هذه الكلمات قريبة من كلمات بولس، الذي يقول: «فاليوم سيبينه، لأنه بنار يستعلن» (١ كورنثوس ٣: ١٣). بينما قال داود: «إلهنا يأتي ولا يصمت» (مزمور ٥٠: ٣)، معلنًا مرة أخرى مجيئه الثاني.

لأن المجيء الأول كان مصحوبًا بتنازل كبير، لكن الثاني لن يكون كذلك، بل سيكون مليئًا بالرهبة والرعب، حيث سينتشر في العالم كله كالبرق، ويتقدمه الملائكة. لأنه يقول: «لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان» (متى ٢٤: ٢٧)، مبينًا بذلك أنه سيكون مرئيًا من كل مكان وسيعلن عن نفسه بنفسه، أي لا يحتاج إلى مبشر، بل هو نفسه يقدم نفسه.

ولكي يظهر داود هذا، قال: «إلهنا يأتي ولا يصمت» (مزمور ٥٠: ٣). ثم، مصورًا الدينونة المستقبلية، يضيف ويقول: «قدامه نار آكلة، وحوله عاصف جدًا» (مزمور ٥٠: ٣). قال عن العقوبات، ويقول عن بهائه: «يدعو السماوات من فوق، والأرض إلى مداينة شعبه» (مزمور ٥٠: ٤)، مسميًا "الأرض" الناس.

ثم، معدِّدًا مع جميع الناس اليهود أيضًا (لأنه يخاطبهم)، يضيف مرة أخرى ويقول: «اجمعوا إليّ أتقيائي، القاطعين عهدي على ذبيحة. وتخبر السماوات بعدله، لأن الله هو الديان» (مزمور ٥٠: ٥).

كان سيأتي ويلغي العبادة عن طريق الذبائح ولن يقبلها بعد، بل سيقبل فقط عبادتنا. اسمع كيف تنبأوا بهذه الأمور أيضًا: «ذبيحة وتقدمة لم تسر. أذني فتحت» (مزمور ٤٠: ٦). معلنًا هذا بالضبط في موضع آخر، قال: «شعب لم أعرفه يخدمني. من سماع الأذن يسمعون لي» (مزمور ١٨: ٤٣-٤٤)، أي آمنوا دون أن يروا البحر ينشق، ولا الصخور تتشقق، بل بسماع كرازة رسلي فقط. وهنا مرة أخرى: «هيأت لي جسدًا».

وبعد أن قال هذا، يضيف مرة أخرى ويقول: «حينئذ قلت: هأنذا جئت. بدرج الكتاب مكتوب عني» (مزمور ٤٠: ٧). أي أن أمرين يُعلنان بهذين: أنه سيأتي، وأنه سيأتي عندما تُلغى الذبائح، وهو ما حدث بخضوع اليهود للرومان. وجدنا أيضًا باروخ يتحدث عن تجسده قائلاً ما يلي: «ظهر على الأرض وعاشر البشر» (باروخ ٣: ٣٧).

ولكن موسى أيضًا يقول: «نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي سيقيم لك الرب إلهك. له تسمعون. وكل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب» (تثنية ١٨: ١٥، ١٩). هل ترى كيف أن هذا لم يحدث لأي من الأنبياء، إلا للمسيح؟ حيث ظهر العديد من الأنبياء وعصوهم جميعًا، لكنهم لم يصابوا بأذى؛ ولكن عندما عصى اليهود المسيح، منذ ذلك الحين يتجولون في كل مكان كالمشردين والمتجولين، كالهاربين والمهاجرين.

لأنهم، انتبه، حُرموا من وطنهم وكذلك من عادات آبائهم وقوانينهم، ويعيشون الآن في العار والخزي والعذابات والعقوبات. وما عانوه في عهد فسبازيان وتيطس[٣]، لا يمكن لأحد حتى أن يصفه؛ لدرجة أن تلك المأساة فاقت كل مصيبة، وهكذا تحققت الكلمة النبوية: «كل من لا يسمع لذلك النبي، يباد». لهذا السبب، دُمرت كل ممتلكاتهم، لأنهم عصوا ذلك النبي.

وأنه سيقيمهم جميعًا، هذا أيضًا أعلنه إشعياء قائلاً: «تحيا أمواتك، تقوم الجثث. استيقظوا، ترنموا يا سكان التراب. لأن طلك طل أعشاب، والأرض تسقط الأخيلة» (إشعياء ٢٦: ١٩). وليس هذا فقط، بل إنه بعد الصلب، بعد موته، ستحدث أمور أكثر إعجازًا، أي أنه بعد القيامة سيكون انتشار الكرازة عظيمًا جدًا.

---

٣ تيطس، قائد روماني، دمر أورشليم عن بكرة أبيها عام ٧٠ م. انظر يوسيفوس، الحرب اليهودية، الكتابان الخامس والسادس. أما فسبازيان فكان والد تيطس وإمبراطور روما.

فلأنه قُيّد، وخانه تلميذه، وبُصق عليه، وسُخر منه، وجُلد، وسُمِّر على الصليب، ولم يُكرَّم بقبر، بقدر ما كان الأمر يعتمد عليهم، تقاسم الجنود ثيابه، وأنهى حياته متهمًا بأنه ثائر، ومجدف، وطاغية، لأنه يقول: «كل من يجعل نفسه ملكًا، يقاوم قيصر» (يوحنا ١٩: ١٢)، ومرة أخرى: «ها قد سمعتم تجديفه» (متى ٢٦: ٦٥). فلأنه كان من المقرر أن تحدث كل هذه الأمور، راغبًا في إثارة المستمع وإعداده ليكون شجاعًا، يقول: "لا تخف بسبب هذه الأمور؛ لأن كل تلك الأمور التي تتعلق بذاك الذي صُلب، وجُلد، وشُتم من قبل اللصوص، وقُتل بتهمة التجديف، والتي ستحدث بعد موته وقيامته، ستكون بحيث لا يستطيع أحد أن يقول إنها ليست مليئة بالكثير من الكرامة".

وهذا ما حدث. وهذا بالضبط ما تنبأ به النبي قبل ذلك بوقت طويل، قائلاً: «ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب، إياه تطلب الأمم، ويكون محله مجدًا» (إشعياء ١١: ١٠). كأنه يقول: هذه الطريقة في الموت أكرم من التاج الملكي. حقًا، الملوك، بخلعهم تيجانهم، يضعون مكانها الصليب، رمز موت المسيح. يوضع الصليب على أرجوان الملوك، الصليب على التيجان، الصليب يرافق الصلوات، الصليب يوضع على الأسلحة، الصليب على المائدة المقدسة، وفي كل المسكونة يضيء الصليب أكثر من الشمس. «ويكون عرش راحته مليئًا بالكرامة».

القديس يوحنا الذهبي الفم: ضد اليهود والأمم. إثبات أن المسيح هو اللّه بناءً على ما قاله الأنبياء عنه في مواضع كثيرة من كتبهم

(§ ٩ – ١٢)

٩. لكن أمور البشر ليست كذلك، بل عادة ما يحدث العكس. فطالما أن الناجحين أحياء، تزدهر أمورهم أيضًا، ولكن عندما يموتون، تضمحل تلك الأمور معهم. ويمكن للمرءِ أن يرى هذا ليس فقط في حالة الغني، ولا فقط في حالة الحاكم، بل وفي حالة الملك نفسه.

فحتى قوانينهم تُلغى، وصورهم تُطمس، وذكراهم تتلاشى، وأسماؤهم تُنسى، وأقرباؤهم يُحتقرون، وكل هذا يحدث لأولئك الذين كانوا يحركون الجيوش، وبإيماءة منهم يغيرون أحوال الشعوب والمدن والأشياء، والذين كانت في سلطتهم سلطة القتل واستدعاء المدانين من المنفى. ولكن مع ذلك، يزول كل شيء، حتى لو كانوا مزدهرين من قبل.

أما في حالة المسيح، فقد حدث العكس تمامًا. فقبل الصليب، كانت كل الأمور المتعلقة به محبطة. يهوذا خانه، وبطرس أنكره، وتلاميذه الآخرون هربوا، وبقي هو وحده بين الأعداء، وكثيرون ممن آمنوا به قد ابتعدوا. ولكن بعد الذبح والموت، لكي تعلم أن ذاك الذي صُلب لم يكن مجرد إنسان، أصبحت الأمور المتعلقة به أكثر إشراقًا وبهاءً وسموًا.

فرئيس الرسل، الذي لم يحتمل قبل الصليب حتى تهديد البوابة، بل ادعى بعد كل ذلك الجلد أنه لا يعرفه، بعد الصليب جال في كل المسكونة. ومنذ ذلك الحين، تبعته جموع لا حصر لها من الشهداء، مفضلين الموت على أن يقولوا ما قاله رئيس الرسل، خائفًا من تهديد بوابة. وهكذا، منذ زمن بطرس، تعلن كل المدن والصحراء والأرض المأهولة وغير المأهولة بالمصلوب.

حتى الملوك والجنرالات والحكام والقناصل والعبيد والأحرار والعامة والحكماء والجهلاء والبرابرة وجميع قبائل البشر، وبشكل عام في كل الأرض التي تراها الشمس، انتشر اسم المسيح وعبادته إلى هذا الحد، لكي تعلم ما يعنيه: «ويكون محله مجدًا» (إشعياء ١١: ١٠). والمكان الذي استقبل ذلك الجسد المذبوح، بينما كان صغيرًا ومغمورًا جدًا، هو الآن أسمى من العديد من البلاطات الملكية وأكرم حتى من الملوك أنفسهم.

«ويكون محله مجدًا» (إشعياء ١١: ١٠). وهذا الأمر المدهش لم يحدث له وحده، بل حدث الشيء نفسه تمامًا لتلاميذه. فأولئك الذين كانوا يُضطهدون ويُساقون إلى المحاكم، ويُحتقرون ويُسجنون، أولئك الذين عانوا من آلاف المصائب، بعد موتهم هم أكرم من الملوك أنفسهم. وكيف ذلك؟ انتبه إلى ما سأقوله.

في روما، ملكة المدن، يترك المؤمنون كل شيء ويهرعون إلى قبور الصياد وصانع الخيام، وحتى الملوك والقناصل والجنرالات. وفي القسطنطينية مرة أخرى، طلب الملوك أن يُدفنوا ليس بالقرب من قبور الرسل، بل خارج الكنائس وبجوار أبوابها، وهكذا أصبح الملوك بوابين للصيادين[٤]، وليس فقط أنهم لا يخجلون من هذا الدفن، بل يفتخرون به، ليس هم فقط، بل وأحفادهم أيضًا.

«ويكون»، يقول، «محله مجدًا» (إشعياء ١١: ١٠). حينئذ ستدرك عظمة الكرامة، عندما تعلم رمز هذا الموت، موت الملعون، الموت الأكثر خزيًا من بين الجميع. لأن هذا النوع من الموت وحده كان يعتبر ملعونًا. أعني بما أقوله ما يلي: من بين أولئك الذين أخطأوا في العصور القديمة، كان البعض يُحرقون، والبعض يُرجمون، والبعض ينهون حياتهم بطريقة أخرى. ولكن من كان يُسمَّر

---

٤) كانت رغبة الملوك هذه تكريمًا للرسل، الذين بُنيت على قبورهم، خلال العصور المسيحية الأولى، كنائس رائعة تكريمًا لهم.

على خشبة ويُعلَّق عليها، لم يكن يحتمل هذا الشر وحده، أي أنه يُعاقب بمثل هذا الحكم، بل كان يُعتبر أيضًا ملعونًا.

لأنه يقول: «ملعون كل من عُلِّق على خشبة» (تثنية ٢١: ٢٣). ولكن مع ذلك، هذا الشيء الملعون، الذي كان المرء يتمنى ألا يحدث له، رمز أسوأ عقوبة، أصبح الآن مرغوبًا ومحبوبًا. لأن التاج الملكي لا يزين الرأس بقدر ما يزينه الصليب، الذي هو أكرم من كل زينة. وما كانوا يتجنبونه جميعًا في السابق برعب، أصبح شكله اليوم مرغوبًا من الجميع، لدرجة أنه يوجد في كل مكان، عند الحكام والرعايا، عند النساء والرجال، عند العذارى والمتزوجات، عند العبيد والأحرار. لأن الجميع باستمرار يرسمون شكله على أبرز جزء من الجسد ويحملونه معهم يوميًا مطبوعًا كأنه على عمود، على جباههم.

يوجد الصليب على المائدة المقدسة، وهو في رسامات الكهنة، وهو يضيء مرة أخرى في القربان المقدس، مع جسد المسيح. يمكن للمرء أن يراه موجودًا في كل مكان، في المنازل، في الأسواق، في الصحاري، في الطرق، على الجبال، في الوديان، على التلال، في البحار وفي السفن وفي الجزر، على الأسرة وفي الملابس، في الأسلحة، في الأعراس، في المآدب، في الأواني الفضية والذهبية، في اللآلئ، في الجداريات، على أجساد الحيوانات المريضة جدًا، على أجساد أولئك الذين يزعجهم الشياطين، في الحروب، في السلام، أثناء النهار والليل، في مجموعات أولئك الذين يمرحون وفي نوادي الرياضيين. لقد أصبح هذا العطاء الرائع، هذه النعمة التي لا توصف، مرغوبًا جدًا لدى الجميع.

لا أحد يخجل، لا يشعر بالسوء، وهو يفكر أن الصليب هو رمز الموت الأكثر لعنة، بل الجميع نتزين به أكثر بكثير من الأكاليل والتيجان والصفوف التي لا حصر لها من اللآلئ. وهكذا ليس فقط أنه ليس شيئًا يُتجنب، بل هو مرغوب ومحبوب ومطلوب من الجميع، يضيء في كل مكان، ويوجد على جدران المنازل،

علـى السـقوف، فـي الكتـب، فـي المـدن، فـي القـرى، فـي الأمـاكن غيـر المأهولـة والمأهولـة. لذلك، سأسأل الوثني بكل سرور من أين أصبح الصليب، هذا الرمز للإدانـة والموت الملعون، مرغوبًا ومطلوبًا من الجميع، لو لـم تكن قوة ذاك الذي صُلب عظيمة؟

١٠. لأنـه، إن لـم يكن شيئًا، وأنـت تظـن ذلـك وتتصـرف بوقاحـة حتـى الآن وتغلق عينيك أمام الحقيقة وتبقى أعمى أمام النور، تعال لأثبت لك بطريقة أخرى كم هو عظيم هذا الأمـر. فمـا هو الإثبات؟ هنـاك أنـواع كثيـرة مـن أدوات التعـذيب تحـت تصرف القضاة، مثل الخشبة، والسياط، والمخالب، والرصاص، التـي يخدشـون بهـا الأجسـاد ويمزقـون الأعضـاء ويخلعونهـا. فمـن ذا الـذي يـود أن يضـع هـذه الأدوات في منزله؟ ومن ذا الذي يتنازل ليلمس بيديه أدوات الجلادين هذه أو يراها بجانبه؟ ألا يشمئز منها معظم الناس، بل يعتبرها البعض أدوات تنبؤ ولا يطيقون لمسها أو حتـى رؤيتهـا؟ ألا يهربـون بعيـدًا عنهـا؟ ألا يشـيحون بنظـرهم؟ كـان الصـليب فـي الماضي شيئًا كهذا، أو بالأحرى أفظع بكثير من هذه. لأنـه، كما قلت سابقًا، كـان رمزًا، ليس للموت فحسب، بل للموت الملعون.

قل لـي إذن، مـن أيـن أصـبح الآن مرغوبًـا جـدًا مـن الجميـع، ومحبوبًـا جـدًا لـدى الجميـع ومفضـلًا علـى كـل شـيء؟ تلـك الخشـبة بالـذات، التـي مُدِّد عليهـا الجسـد المقدس وسُمِّر، كيف أصبحت مرغوبـة مـن الجميـع؟ وكثيـر مـن النـاس، يأخـذون قطعـة صـغيرة منهـا ويطلونهـا بالـذهب، ويعلقونهـا، رجـالًا ونسـاءً، علـى أعنـاقهم ويعتبرونها زينتهم، على الرغم من أن هذه الخشبة كانت رمزًا للإدانة؟

لكن ذاك الـذي يخلـق كـل شـيء ويغيره، ذاك الـذي حـرر المسكونة مـن مثـل هـذا الشـر وجعـل الأرض سـماءً، هـو أيضًـا رفـع هـذا الشـيء، الـذي كـان أداة مخزيـة

وأبشـع مـن كـل أدوات المـوت، فـوق السـماوات. كـل هـذا، متنبـئًا بـه النبـي، قـال: «ويكون محله مجدًا» (إشعياء ١١: ١٠).

أي أن رمز الموت هذا (لأنني لن أتوقف عن قول هذا باستمرار)، أصبح للكثيرين وسيلة للبركة وسورًا لكل أنواع الأمان، وجرحًا مميتًا للشيطان، ولجامًا للشياطين، وكمامة لقوة أعداء المسيح. هذا ألغى الموت، هذا حطم أبواب الجحيم النحاسية وسحق مزاليجه الحديدية، هذا دمر قلعة الشيطان، هذا قطع عصب الخطية، هذا حرر كل المسكونة التي كانت مدانة، وأنهى العقاب الإلهي الذي كان موجهًا ضد طبيعتنا.

ولكن ماذا أقول؟ تلك الأمور التي لم يتمكن من تحقيقها البحر المنشق والصخور المتشققة، وتغير الريح والمن، الذي قُدِّم لأربعين عامًا لآلاف اليهود، والشريعة، وكثير من المعجزات الأخرى التي حدثت في الصحراء وفي فلسطين، هذه حققها الصليب، ليس لأمة واحدة، بل للعالم كله، الصليب، هذا الرمز الملعون، الذي كان الجميع يتجنبونه ويتمنون ألا يحدث لهم، والأكثر خزيًا، هو الذي تمكن، بعد موت ذاك الذي صُلب عليه، من فعل كل شيء بسهولة.

وليس هذا فقط، بل وما تلا ذلك يظهر قوته. لأن المسكونة بأكملها، التي كانت قاحلة في أعمال الفضيلة ولم تكن في حالة أفضل من الأرض الصحراوية ولم تكن تتوقع أن تنتج شيئًا جيدًا، جعلها في لحظة جنة وأمًا كثيرة الأبناء. وهذا قاله النبي مسبقًا قائلاً ما يلي: «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم واهتفي أيتها التي لم تتمخض، لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل» (إشعياء ٥٤: ١).

وبعد أن جعلها كذلك، أعطاها شريعة كانت أفضل بكثير من السابقة، وهو أمر لم يسكت عنه الأنبياء أيضًا. وانتبه إلى ما تنبأوا به وقالوا: «سأقطع معهم عهدًا جديدًا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض

مصر، لأنهم لم يثبتوا في عهدي ذاك، وأنا أهملتهم، يقول الرب. وهذا هو العهد الذي سأقطعه معهم: سأعطيهم شرائع مفهومة في أذهانهم وسأكتبها على قلوبهم» (إرميا ٣١: ٣١-٣٣).

ثم، متنبئًا بالتغيير المفاجئ والجماعي والانتشار السهل للكرازة، قال: «ولا يعلّمون بعد كل واحد صاحبه، وكل واحد أخاه، قائلين: اعرفوا الرب، لأنهم كلهم سيعرفونني، من صغيرهم إلى كبيرهم» (إرميا ٣١: ٣٤). وأنه بمجيئه كان سيغفر خطايا الجميع، وهذا أيضًا تنبأ به النبي مرة أخرى، قائلاً ما يلي: «هذا هو عهدي معهم، عندما أغفر آثامهم ولن أذكر خطاياهم بعد» (إرميا ٣١: ٣٤).

ما الذي يمكن أن يكون أوضح من هذا؟ لأنه بهذه النبوات أظهر دعوة الأمم، وتفوق الشريعة الجديدة على القديمة، وسهولة قبول الكرازة، ونعمة أولئك الذين آمنوا، والعطية التي مُنحت بالمعمودية.

١١. أنه هو الذي فعل كل هذا وأنه هو نفسه سيأتي لاحقًا كديان، انتبه كيف يتنبأون بهذا أيضًا، لأنهم لم يتجاهلوا هذا أيضًا، حيث قدم البعض الشكل الذي سيأتي به، وتنبأ آخرون بمجيئه بالكلمات فقط. فدانيال، وهو يعيش بين البابليين البرابرة، يراه قادمًا على السحاب؛ اسمع كلمات النبي نفسه: «كنت أرى»، يقول، «وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه. فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة».

ومصورًا محكمته يقول: «كنت أرى أنه وضعت عروش... وفُتحت الأسفار، ونهر نار جرى وخرج من قدامه. ألوف ألوف تخدمه، وربوات ربوات وقوف قدامه». وليس هذا فقط، بل يظهر أيضًا الكرامة التي سيحظى بها الأبرار، قائلاً: «وأُعطي الدين لقديسي العلي، فامتلك القديسون المملكة» (دانيال ٧: ٩-٢٢).

ويتنبأ ملاخي مرة أخرى بأن تلك المحكمة ستكون في صورة نار، قائلاً: «فهوذا يأتي كنار الممحص وكنبات القصارين» (ملاخي ٣: ٢). هل رأيت دقة الأنبياء، كيف أعلنوا مسبقًا كل ما كان سيحدث؟ فكيف تجرؤ على عدم الإيمان بعد، وأنت تملك مثل هذه الأدلة العظيمة على قوته، نبوات قيلت قبل سنوات عديدة، وترى الأحداث تتوافق معها، دون أن تخطئ على الإطلاق؟

وأن هذه النبوات ليست من اختراعنا، يشهد بذلك أولئك الذين قبلوا أولاً كتب الأنبياء ويملكونها حتى اليوم، والذين على الرغم من أنهم أعداؤنا وأحفاد أولئك الذين صلبوه، يملكونها اليوم ويحافظون عليها. وكيف لا يؤمنون، يقول، وهم يملكون الكتب؟ كما لم يؤمنوا آنذاك، على الرغم من أنهم رأوه يصنع المعجزات.

لكن هذا ليس اتهامًا لذاك الذي لا يُصدَّق، بل لأولئك الذين يبقون عميانًا في وضح النهار؛ لأنه وضع هذا العالم أمامنا كأداة متناغمة للغاية، تصدر أصواتًا من كل مكان وتعلن عن الخالق؛ ومع ذلك هناك البعض، منهم من يقول إن كل شيء حدث تلقائيًا، وآخرون يقولون إن ما نراه غير مخلوق، وآخرون ينسبون الخلق والعناية به إلى الشياطين، وآخرون إلى الحظ والقدر ودوران النجوم.

لكن هذا ليس اتهامًا للخالق، بل الاتهام يقع على عاتق أولئك الذين، بعد كل هذه الأدوية، لا يزالون مرضى بشدة. فكما أن النفس الشاكرة تعرف ما هو لائق دون الحاجة إلى الكثير من المساعدات، كذلك عندما تكون جاحدة وغير حساسة، حتى لو كان لديها عدد لا يحصى من المرشدين، تظل عمياء وهي مسيطر عليها من الأهواء.

انتبه إذن إلى أن هذا يحدث في كل مكان، ليس فقط في هذه الحالة، بل وفي حالات أخرى أيضًا. فكم من الناس، بينما لم يسمعوا شرائع، يعيشون حياة متوافقة تمامًا مع الشرائع؟ وآخرون، الذين تربوا على الشرائع منذ طفولتهم حتى شيخوختهم المتقدمة، لم يتوقفوا عن انتهاكها. كانت الأمور نفسها تحدث في الماضي.

فاليهود، على الرغم من أنهم تمتعوا بآيات ومعجزات لا حصر لها، لم يصبحوا أفضل؛ بينما أهل نينوى، بسماعهم كرازة واحدة، غيروا طريقة حياتهم وتخلصوا من الشر.

يمكن للمرء أن يرى هذا يحدث أيضًا بين الناس البسطاء وليس فقط بين المشاهير. كم من التعليم لم يتمتع به يهوذا، ومع ذلك أصبح خائنًا؟ أي نصيحة تمتع بها اللص؟ ومع ذلك اعترف على الصليب بالمسيح وأعلن ملكوته. فلا تحكم على الأمور بناءً على آراء الآخرين الفاسدة، بل بناءً على حقيقة الأمور أصدر الرأي اللائق بشأن أولئك الذين فكروا بشكل صحيح.

لم يؤمن اليهود، لكن الأمم آمنوا. وهذا أيضًا لم يُسكَت عنه، بل تارة يصرخ داود متنبئًا: «بنو الغرباء كذبوا عليّ، بنو الغرباء بَلُوا وساروا عرجًا من طرقهم» (مزمور ١٨: ٤٤-٤٥)، وتارة يقول إشعياء: «يا رب، من صدق خبرنا، ولمن استعلنت ذراع الرب؟» (إشعياء ٥٣: ١). ومرة أخرى: «وجدت من الذين لم يطلبوني، ظهرت للذين لم يسألوا عني» (إشعياء ٦٥: ١).

ولكن أيضًا أثناء وجوده على الأرض، آمنت به الكنعانية (متى ١٥: ٢١-٢٨؛ مرقس ٧: ٢٤-٣٠) والسامرية (يوحنا ٤: ٥ وما بعده)، بينما كان الكهنة والحكام يحاربونه ويتآمرون عليه ويمنعون الآخرين ويطردون من المجمع أولئك الذين آمنوا به.

فلا تستغرب من هذه الأمور على الإطلاق. حياتنا مليئة بالعديد من هذه الأمثلة، التي حدثت في أيامنا وفي الماضي. علاوة على ذلك، إن لم يكن الجميع، فعلى الأقل كثيرون من اليهود آمنوا آنذاك والآن، ولكن إن لم يؤمن الجميع، فليس هذا أمرًا غير مسبوق ولا غريبًا. لأن الجحود هكذا، والعقل المتهور هكذا، والنفس التي تسيطر عليها الأهواء هكذا.

ولكن بعد أن ذكرنا النبوات التي قيلت وأُعلنت من قبل الأنبياء قبل سنوات عديدة، تعالوا لنتفحص تلك التي قالها هو نفسه عن ما سيحدث في المستقبل، عندما كان يجول في الأرض ويعاشر الناس، لكي تعلم من هذه أيضًا قوته. فعندما جاء آنذاك إلى الأرض وكان يقوم بعمل خلاص البشر، سواء أولئك الذين كانوا يعيشون آنذاك أو الأجيال المستقبلية، استخدم طرقًا مختلفة لتحقيق هذا الهدف. وانتبه إلى ما يفعله.

إنه يصنع معجزات ويتنبأ ببعض الأحداث التي ستحدث بعد سنوات عديدة. وهكذا، بتلك التي كانت تحدث آنذاك، قدم للمستمعين ضمانًا لكل ما سيحدث في المستقبل، بينما للأجيال المستقبلية يثبت، من خلال تحقيق كل ما تنبأ به، أن المعجزات التي حدثت في ذلك الوقت جديرة بالثقة، وبهذا الدليل المزدوج يجعل الأمور المتعلقة بالملكوت قابلة للتصديق أيضًا.

١٢. وفي الواقع كانت نبواته مزدوجة؛ بعضها كان سيتحقق في هذه الحياة الحاضرة، والبعض الآخر بعد نهاية العالم، وبنوع واحد من النبوات جعل النوع الآخر قابلاً للتصديق وأظهر بيقين كبير أنها ستتحقق. أعني بما أقوله ما يلي؛ لأن الكلام في الحقيقة غامض، لذلك سأحاول أن أجعله أكثر وضوحًا.

كان هناك اثنا عشر تلميذًا يتبعونه آنذاك، ولم يكن أحد يستطيع آنذاك أن يفكر في حقيقة الكنيسة، ولا حتى في اسمها، لأن المجمع كان لا يزال مزدهرًا آنذاك. فماذا قال وأعلن في تلك اللحظة التي كانت فيها المسكونة كلها تقريبًا مسيطرًا عليها من قبل الكفر؟ «على هذه الصخرة سأبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (متى ١٦: ١٨). افحص هذه الكلمة كما تشاء، وسترى حقيقتها تضيء في كل مكان.

وليس هذا فقط هو المدهش، أنه بنى الكنيسة في كل المسكونة، بل وأنه جعلها لا تُقهر، على الرغم من أنها كانت تُزعَج من حروب كثيرة. لأن عبارة «أبواب الجحيم لن تقوى عليها» تعني تلك المخاطر التي تؤدي إلى الجحيم. هل رأيت حقيقة النبوءة؟ هل رأيت قوة التحقيق؟ هل رأيت كلمات تضيء على الأحداث، قوة لا تقاوم تحقق كل شيء بسهولة؟

لا تمر على كلمة «سأبني كنيستي» باستخفاف لأنها قصيرة، بل حللها في عقلك، وفكر كم هو عظيم أن يملأ الكنيسة، التي انتشرت في وقت قصير في كل أنحاء العالم، بهذا العدد الكبير من المؤمنين، وأن يغير إيمان هذا العدد الكبير من الأمم، وأن يقنع الشعوب، وأن يلغي عادات الأجداد، وأن يقتلع عادات متجذرة بعمق، وأن يبدد كالغبار السلطة الطاغية للذة وقوة الشر، وأن يزيل كالدخان المذابح والمعابد والأصنام والطقوس والأعياد الدنسة ورائحة الذبائح النجسة، وأن يقيم مذابح في كل مكان، في بلاد الرومان والفرس والسكيثيين والموريين والهنود؛ ماذا أقول؟ أبعد من حدود مسكونتنا[٥].

لأن حتى الجزر البريطانية، التي تقع خارج هذا البحر[٦] وفي المحيط، عرفت قوة هذه الكلمة، حيث أُسست هناك أيضًا كنائس وأُقيمت مذابح. تلك الكلمة، التي قيلت آنذاك، هي التي زُرعت في نفوس الجميع وتوجد على أفواه الجميع. وكل الأرض التي، كما يمكننا القول، كانت مليئة بالأشواك، نُظفت وأصبحت أرضًا نظيفة وقابلة للزراعة وقبلت بذور التقوى.

إنه لأمر عظيم حقًا، عظيم جدًا، أو بالأحرى يظهر إلى درجة مفرطة عظمة القوة الإلهية، أنهم تمكنوا، حتى لو لم يزعجهم أحد، بل ساد السلام، وهُزم الكثيرون ممن كانوا يعيقونهم ولم يكن هناك عدو، من تحرير هذا العدد الكبير من الناس

---

٥) يقصد القديس الذهبي الفم بـ "المسكونة" هنا على الأرجح أراضي الإمبراطورية البيزنطية.

٦) يقصد البحر الأبيض المتوسط.

من لحظة إلى أخرى من عادة سيئة عاشوا بها لسنوات عديدة، ونقلهم إلى أخرى، أكثر صعوبة بكثير. ولم يكن لديهم خصم فقط العادة، بل واللذة، وهما شيئان طاغيان.

لأن تلك الأمور التي كانوا قد تسلموها قبل سنوات عديدة من آبائهم وأجدادهم وأسلافهم ومن قبلهم أيضًا، وكذلك من الفلاسفة والخطباء، كانوا يُقنعون بالتخلي عنها، على الرغم من أنه كان من الصعب جدًا قبول عادة جديدة دخلت العالم، والأسوأ من كل شيء، أنها كانت مؤلمة جدًا.

لأنه أبعدهم عن الطعام وقادهم إلى الصوم؛ أبعدهم عن حب المال وقادهم إلى عدم الاقتناء؛ أبعدهم عن الفجور وقادهم إلى العفة؛ أبعدهم عن الغضب وقادهم إلى الوداعة؛ أبعدهم عن الحسد وقادهم إلى المحبة؛ أبعدهم عن الطريق الواسع والرحب وقادهم إلى الطريق الضيق والكرب والوعر، قاد أولئك الذين تربوا على السير في الطريق الواسع (انظر متى ٧: ١٣-١٤).

لأنه بالطبع لم يأخذ أناسًا آخرين، كانوا يعيشون خارج العالم وهذه العادة، بل أولئك الناس أنفسهم، الذين كانوا قد تعفنوا من هذه العادات وأصبحوا ألين من الطين، أمرهم بالسير في الطريق الضيق والمليء بالأحزان، الخشن والصعب، وأقنعهم. وكم أقنع؟ ليس اثنين وعشرة وعشرين ومئة، بل جميع سكان المسكونة تقريبًا.

وبمن أقنعهم؟ بأحد عشر رجلاً، أميين، بسطاء، لا يعرفون اللغات، كانوا مغمورين وفقراء، لم يكن لديهم وطن، ولا مال كثير، ولا قوة جسدية، ولا ماضٍ مجيد، ولا أصل نبيل، ولا قوة كلام، ولا براعة خطابية، ولا حماية توفرها المعرفة، بل كانوا صيادين، وصانعي خيام، وأعاجم. لأنهم لم تكن لديهم نفس لغة أولئك الذين آمنوا، بل كانوا يتحدثون لغة أجنبية ومختلفة عن جميع اللغات الأخرى، أعني

اللغـة العبريـة، وبهـؤلاء بنـى الكنيسـة، التـي تمتـد مـن طـرف الأرض إلـى طرفهـا الآخر.

القديس يوحنا الذهبي الفم: ضد اليهود والأمم. إثبات أن المسيح هو اللّه بناءً على ما قاله الأنبياء عنه في مواضع كثيرة من كتبهم

(§ ١٣ – ١٦)

١٣. وليس هذا فقط هو المدهش، بل إن هؤلاء القلائل من العامة والفقراء والمغمورين والأميين والمتواضعين والأعاجم والمحتقرين، الذين أُوكل إليهم إصلاح المسكونة كلها وأُمروا بأن يقودوها إلى أمور أكثر صعوبة، لم يفعلوا ذلك في حالة سلام، بل وسط حروب لا حصر لها كانت تُثار ضدهم من كل مكان. ففي كل أمة وكل مدينة؛ ماذا أقول في كل أمة وكل مدينة؟ في كل بيت كانت تندلع حرب ضدهم.

لأن التعليم عندما قُبل، فصل في كثير من الأحيان الابن عن أبيه، والكنة عن حماتها، والأخ عن أخيه، والعبد عن سيده، والمحكوم عن الحاكم، والرجل عن زوجته، والزوجة عن زوجها، والأب عن أبنائه، لأنه لم يقتنع الجميع على الفور، مما خلق عداوات يومية وحروبًا مستمرة، وتسبب لهم في وفيات لا حصر لها، وكان سببًا في أن يتجنبهم الجميع كأعداء ومحاربين للجميع.

لأن الجميع كانوا يضطهدونهم، الملوك، والحكام، والعامة، والأحرار، والعبيد، والشعوب، والمدن؛ وليس هؤلاء فقط، بل (وهو الأمر الأفظع بالطبع) حتى أولئك الذين اعتنقوا الإيمان للتو، والذين كانوا يتلقون التعليم منهم. فقد أُعلنت حرب مشتركة ضد التلاميذ والمعلمين على حد سواء، لأن التعليم كان يبدو متعارضًا مع المراسيم الملكية والعادات وتقاليد الأجداد.

لأنهم كانوا يحثونهم على عدم السجود للأصنام، واحتقار المذابح التي عبدها آباؤهم وجميع أسلافهم، وتجنب العقائد البغيضة، وازدراء الأعياد، والابتعاد عن الطقوس، وهي أمور كانت تعتبر لديهم مليئة بالرعب الشديد ومخيفة جدًا، وكانوا على استعداد للتضحية بحياتهم من أجلها، بدلاً من قبول كلمات هؤلاء والإيمان

بذاك الذي وُلد من مريم، بذاك الذي سيق إلى محكمة الحاكم، والذي بُصق عليه وعانى من آلام لا حصر لها؛ بذاك الذي احتمل موتًا ملعونًا، ودُفن وقام.

والأمر المدهش هو أن آلامه كانت معروفة للجميع، مثل الجلد، واللطمات على العينين، والإهانات المصحوبة بالبصق في الوجه، والصفعات، والصليب، والسخرية الكثيرة، والاستهزاء من الجميع، والدفن الذي سُمح به كمنة، بينما الأمور المتعلقة بالقيامة لم تكن معروفة بعد (لأنه بعد قيامته ظهر لهم فقط)؛ ولكن مع ذلك، بقولهم هذه الأمور، أقنعوهم، وهكذا بنوا الكنيسة.

كيف وبأي طريقة؟ بقوة ذاك الذي أعطاهم هذا الأمر. لأنه هو الذي كان يسير أمامهم، هو الذي جعل كل الصعاب سهلة. لأنه لو لم تكن هناك قوة إلهية تحقق هذه الأمور، لما كان من الممكن حتى أن تبدأ. فكيف كان ذلك ممكنًا؟

لكن ذاك الذي قال: «ليكن سماء»، وأصبحت الكلمة عملاً، و«لتتأسس الأرض»، وأنتجت المادة، و«ليضئ الشمس»، وقدم النجم، وفعل كل شيء بكلمته، هو الذي غرس هذه الكنائس أيضًا؛ وكلمته تلك، «سأبني كنيستي»، هي التي خلقت كل شيء. لأن كلمات الله هكذا، خالقة للأعمال، أعمال عجيبة ومدهشة. فكما قال: «لتنبت الأرض عشبًا» (تكوين ١: ١١) وعلى الفور أصبح كل شيء جنة، وأصبحت كلها مروجًا وامتلأت الأرض التي تلقت الأمر بالنباتات، هكذا قال الآن: «سأبني كنيستي» وبسهولة كبيرة حدث ذلك.

وبينما كان الطغاة يتسلحون ضدها، والجنود يوجهون أسلحتهم نحوها، وجموع الشعب تثور بشراسة أشد من النار، والعادات تعارض، والخطباء والسفسطائيون والأغنياء والعامة والحكام يثورون ضدها، جاءت كلمة الله بشراسة أشد من النار فأحرقت الأشواك، ونظفت الحقول، وزرعت كلمة الكرازة.

وبينما كان بعض المؤمنين يُلقون في السجن، وآخرون يُنفون خارج وطنهم، وتُصادر ممتلكات آخرين، ويُقتلون ويُذبحون، ويُلقى آخرون في النار، ويُغرق

آخرون في البحر ويحتملون كل أنواع العقاب، ويُهانون، ويُطردون من بيوتهم ويُضطهدون من كل مكان كأعداء للجميع، مع ذلك كان آخرون يأتون بأعداد متزايدة، لم يظهروا عدم رغبة في الإيمان بسبب ما عاناه الآخرون فحسب، بل أصبحوا أكثر حماسة، وقفزوا بحماس أكبر في هذه الشباك الجيدة، وهكذا كانوا يُصطادون ليس بالإكراه ولا بالإجبار، بل كانوا يأتون من تلقاء أنفسهم ويشعرون بالامتنان لأولئك الذين قادوهم إلى المسيح؛ وبينما كانوا يرون سيول الدماء تتدفق من أولئك الذين آمنوا بالفعل، أصبحوا أكثر حرارة في الإيمان وأكثر شجاعة.

وليس فقط التلاميذ، بل والمعلمون أيضًا، على الرغم من أن بعضهم كان يُسجن، وآخرون يُضطهدون، وآخرون يُجلدون، وآخرون يعانون من آلاف الشرور الأخرى، كان التلاميذ يزدادون يوميًا ويصبحون أكثر أهمية. ويصرخ بولس قائلاً: «حتى أن أكثر الإخوة في الرب، وهم واثقون بوثقي، يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف» (فيلبي ١: ١٤).

وفي موضع آخر مرة أخرى: «لأنكم صرتم متمثلين بكنائس الله التي هي في اليهودية... لأنكم تألمتم أنتم أيضًا من أهل عشيرتكم تلك الآلام عينها كما هم أيضًا من اليهود، الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن، وهم لا يرضون الله ويقاومون جميع الناس، يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا» (١ تسالونيكي ٢: ١٤-١٦). وكتب إلى آخرين مرة أخرى قائلاً: «واذكروا الأيام السالفة التي فيها بعدما أُنرتم، صبرتم على جهاد آلام كثير... عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السماوات وباقيًا» (عبرانيين ١٠: ٣٢-٣٤).

هل رأيت القوة الفائقة لذاك الذي فعل هذه الأمور؟ ليس فقط أنهم لم يحزنوا، ليس فقط أنهم لم يتألموا وهم يعانون من هذه الأمور، بل كانوا يفرحون ويتهللون ويقفزون من الفرح. ولهذا يقول بولس هذه الأمور، أي أنهم قبلوا مصادرة ممتلكاتهم بسرور (عبرانيين ١٠: ٣٤)، بينما لوقا في سفر الأعمال، متحدثًا عن

المعلمين، يقول إنهم «كانوا يذهبون فرحين من أمام المجمع، لأنهم حُسبوا أهلاً أن يهانوا من أجل اسمه» (أعمال ٥: ٤١). وعن نفسه يقول بولس مرة أخرى: «الآن أفرح في آلامي لأجلكم، وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي» (كولوسي ١: ٢٤).

ولماذا تتعجب من أنه كان يفرح بآلامه، بينما حتى عندما كان على وشك أن يموت لم يفرح فحسب، بل دعا تلاميذه أيضًا للمشاركة في الفرح، وهو ما يظهر نفسًا مبتهجة للغاية، قائلاً ما يلي: «أفرح وأشاركم جميعًا في الفرح، وهكذا أنتم أيضًا افرحوا وشاركوني في الفرح» (فيلبي ٢: ١٧–١٨). قل لنا إذن، ماذا حدث وملأك بكل هذا الفرح؟ يقول: «فإني أنا الآن أُسكب سكيبًا، ووقت انحلالي قد حضر» (٢ تيموثاوس ٤: ٦).

١٤. وهكذا إذن بنوا الكنيسة في كل أنحاء الأرض. على الرغم من أنه لا يمكن لأحد وهو مضطهد ومعاق أن يبني حتى جدارًا واحدًا من الحجارة والجير، إلا أنهم بنوا كل هذه الكنائس في جميع أنحاء المسكونة وهم مضطهدون، مسجونون، مطاردون، منفيون، مصادرة أملاكهم، مجلودون، مذبوحون، محروقون، مغرقون مع تلاميذهم. وبنوها ليس بالحجارة، بل بالنفوس والإرادات، وهو أمر أصعب بكثير من البناء بالحجارة.

لأنه ليس من السهل بناء جدار كإقناع نفس، كانت فاسدة لسنوات عديدة بسبب الشياطين، بتغيير طريقة حياتها والابتعاد عن ذلك الجنون والتوجه إلى مثل هذا التعقل العظيم. ولكن مع ذلك، حققوا هذا وهم عراة وحفاة، يجولون في كل المسكونة بقميص واحد، لأنهم كان لديهم حليف ومساعد هو القوة التي لا تقهر لذاك الذي قال: «على هذه الصخرة سأبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (متى ١٦: ١٨).

فاحصِ إذن كم من الطغاة منذ ذلك الحين اصطفوا ضدها، وكم أثاروا اضطهادات رهيبة، وفي أي حالة كانت كل الأمور سابقًا، أي عندما زُرع الإيمان للتو، عندما كانت عقول الناس أكثر ليونة. كان الملوك الوثنيون آنذاك هم أغسطس، وطيباريوس، وغايوس، ونيرون، وفسبازيان، وتيطس، وجميع من تلاهم حتى زمن قسطنطين المبارك. وكل هؤلاء، بعضهم أقل وبعضهم أكثر، حاربوا الكنيسة، ولكن بالتأكيد حاربوها جميعًا.

وإذا بدا أن بعضهم هادئون تجاههم، فإن هذه الحقيقة بالذات، أي أن الملوك كانوا معروفين بكفرهم، أصبحت سببًا للاضطهادات، لأن آخرين كانوا يتملقونهم ويخدمونهم في الحرب ضد الكنيسة. ولكن مع ذلك، كل هذه المؤامرات والهجمات تحطمت بسهولة أكبر من نسيج العنكبوت، وتبددت أسرع من الدخان، واختفت أسرع من الغبار. لأنهم بما ارتكبوه من شرور، خلقوا عددًا كبيرًا من الشهداء وتركوا في الكنيسة تلك الكنوز الخالدة، الأعمدة، الأبراج، وأصبحوا للأجيال اللاحقة سببًا لمنفعة عظيمة، ليس فقط أثناء حياتهم، بل وبعد موتهم أيضًا.

هل رأيت قوة النبوءة؟ «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها». من هذه، آمن أيضًا بالمستقبل، أي أنه لن يتمكن أحد من هزيمتها. لأنه إذا لم يتمكنوا من هزيمتها آنذاك عندما كانت تتكون من قلة وكان الأمر يعتبر بدعة، عندما كان التعليم قد ترسخ للتو وكانت كل هذه الحروب والمعارك تُثار من كل مكان ضدها، فبالأحرى لن يتمكنوا من هزيمتها الآن بعد أن احتلت المسكونة بأكملها وكل مكان والجبال والوديان والتلال، وحتى البحر وجميع الأمم تحت الشمس، وانحصر الكفر الآن في قلة، بعد أن اختفت المذابح والمعابد والأصنام والأعياد والطقوس والدخان ورائحة الذبائح والاحتفالات البغيضة.

فكيف لأمر عظيم كهذا، بعد كل هذه العقبات، أن تكون له نهاية رائعة كهذه، وأن تكون له نتيجة تؤكد حقيقة النبوءة، لو لم تكن هناك قوة إلهية لا تقاوم لذاك الذي

تنبأ بهذه الأمور وحققها؟ لن يتمكن أحد من الاعتراض على هذا، إلا إذا كان شخصًا مجنونًا ومختل العقل للغاية، ومجردًا حتى من العقل الطبيعي.

وليس فقط هذه، بل ونبوات أخرى تعلن عن قوته التي لا تقهر. حيث تنبأ بالمستقبل بكل حقيقة وحققه، ومن المستحيل ألا يتحقق شيء مما قاله. من الأسهل أن تزول الأرض والسماء، من أن يظهر أن شيئًا من كلماته أو نبواته قيل كذبًا. لهذا السبب، هو نفسه، معلنًا هذا بالضبط قبل أن تتحقق نبواته، حكم بوضوح شديد على ما قاله، لدرجة أنه قال: «السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (متى ٢٤: ٣٥).

وهذا منطقي جدًا. لأنها ليست مجرد كلمات، بل كلمات الله، خالقة للأعمال. هكذا خلق السماء، وهكذا الأرض، وهكذا البحر، وهكذا الشمس، وهكذا جموع الملائكة، وهكذا القوات غير المنظورة الأخرى. وهذا ما أوضحه النبي قائلاً: «لأنه قال فكان، هو أمر فصار» (مزمور ٣٣: ٩)، قائلاً هذا عن كل الخليقة، العلوية، السفلية، المحسوسة، العقلية، الجسدية، غير الجسدية. لقد أثبتت نبوءته عن الكنيسة، كما قلت سابقًا، عظمة وحجم ووفرة حقيقته وعنايته وصلاحه ورعايته.

١٥. تعال إذن لنتفحص نبوءة أخرى تضيء أكثر من الشمس وأوضح من الشعاع، وهي أمام أعين الجميع وتمتد إلى جميع الأجيال القادمة، تمامًا مثل السابقة. لأن معظم نبواته هكذا. فهي لا تنتهي في وقت قصير ولا تتحقق في جيل واحد فقط، بل تمتد إلى جميع الناس، إلى أولئك الذين يعيشون الآن وإلى أولئك الذين سيأتون مباشرة وبعدهم وبعدهم مرة أخرى وحتى نهاية العالم، وتوفر للجميع إمكانية إدراك قوة حقيقتها، تمامًا مثل السابقة.

لأنها منذ اليوم الذي قيلت فيه حتى نهاية الدهر تظل ثابتة وغير متزعزعة، تزدهر وتضيء وتنمو يوميًا وتكتسب قوة أكبر، مما يتيح للجميع، من عصره حتى

مجـيء المسـيح الثـاني، أن يجنـوا منهـا الخيـرات ويقطفـوا فائـدة لا توصـف. فـي الواقع، عرف من قبلنا ومن قبلهم وجميع من قبلهم قوتها، وهم يرون من ناحية الحروب تتدلع ضدها والمخاطر والاضطرابات والضوضاء والأمواج والعواصف، ومن ناحية أخرى يلاحظون أنها لا تغرق، ولا تُهزم، ولا تخضـع، ولا تنطفئ، بل تزدهر وتنمو وتصل إلى ارتفاع أكبر.

ولكن أيضًا، تلك التي سأقولها لكم الآن، هي من هذا النوع، يمكنها أن تظهر قوة وحقيقة ما قاله. ولكن ما هي؟ ذات مرة، بعد أن دخل هيكل اليهود، الذي كان مزدهرًا آنذاك ويضـيء بشكل كبير من كل مكان بسبب الذهب والجمال وحجم المباني، وبه كل الرفاهية الأخرى من الفن والمواد، وبينما كان التلاميذ يتعجبون من هذه الأمور، ماذا يقول هو؟ «أما تنظرون جميع هذه؟ الحق أقول لكم: لا يُترك ههنـا حجـر علـى حجـر» (متـى ٢٤: ٢)، قاصـدًا تـدميره لاحقًا، والخـراب الكامل، والدمار، وأطلال الهيكل الموجودة اليوم في أورشليم.

في الواقع، كل تلك المباني الرائعة والبارزة أصبحت أطلالًا. هل رأيت بكليهما قوته العظيمة التي لا توصف، سواء ببنائه وزيادة أولئك الذين يخدمونه بإخلاص، أو بإذلالـه وتـدميره واقتلاع أولئك الـذين يعارضـونه؟ لأنـه لـم يكـن هنـاك فـي أي مكـان هيكـل كهـذا ولا مشـهور جدًا ويتمتـع بمثـل هـذه الكرامـة. حيث كـان جميـع اليهود الذين يسكنون في كل أنحاء الأرض وحتى في أقاصي العالم، يأتون إلى هناك في العصور القديمة، حاملين الهدايا والذبائح والقرابين والباكورات وغيرها الكثير، وبثروة العالم كله كانوا يزينون الهيكل.

وحتى المهتدون اليهود من كل أنحاء الأرض كانوا يتوافدون إلى هناك، وكان اسم المكان مشهورًا جدًا، يصل إلى أقاصي الأرض. ولكن مع ذلك، كلمة واحدة من المسيح دمرت كل ذلك وأزالته وجعلته يختفي من الوسط كالغبار؛ وحيث لم يكن مسموحًا لجميع اليهود بالدخول، أو بالأحرى ولا لجميع الكهنة، بل لواحد فقط،

رئيس الكهنة، وله مرة واحدة فقط في السنة، بزي وتيجان وعمامة وبكل الزي الإلهي الآخر، يمكن الآن أن يدخل الزناة والمخنثون وأصدقاء العشيقات والزناة، دون أن يمنعهم أحد؛ لأن تلك الكلمة عندما سقطت دمرت كل شيء وأزالته، ولم يبق من الهيكل إلا جزء يكفي لإظهار أين كان الهيكل في العصور القديمة.

فكر إذن كم من القوة يظهر هذا أيضًا. لأن أولئك الذين حققوا الكثير، الذين هزموا أممًا وملوكًا وفي كثير من الحالات انتصروا تمامًا دون إراقة دماء، الذين أقاموا غنائم لا حصر لها لم يسمع بها من قبل وغريبة، هؤلاء منذ ذلك الحين حتى اليوم لم يتمكنوا من بناء هيكل، وكل هذا على الرغم من وجود العديد من الملوك الذين دعموهم وهم جمع غفير منتشر في كل الأرض ولديهم الكثير من المال تحت تصرفهم.

هل رأيت كيف أن ما بناه هو، لم يدمره أحد، وما دمره هو، لم يتمكن أحد من بنائه؟ بنى الكنيسة ولا أحد يستطيع تدميرها. دمر الهيكل ولا أحد يستطيع إعادة بنائه، وخاصة بعد كل هذه السنوات الطويلة. على الرغم من أنهم حاولوا تدميرها، لكنهم لم يتمكنوا؛ وحاولوا إعادة بنائه، لكنهم لم يتمكنوا.

وسُمح بهذا أيضًا، حتى لا يستطيع أحد أن يقول، لو أنهم حاولوا إعادة بنائه، لكانوا قد تمكنوا. فها هم قد حاولوا ولم يتمكنوا من فعل شيء. في الواقع، في أيامنا، ذلك الملك الذي فاق كل الآخرين في الكفر[٧]، وأعطاهم الإذن ببنائه وساعدهم ماليًا وبدأوا في أعمال إعادة البناء، ولكن مع ذلك لم يتمكنوا من التقدم ولو قيد أنملة، لأن نارًا خرجت من أساسات الهيكل وأبعدتهم جميعًا[٨].

---

٧) يقصد على الأرجح الإمبراطور يوليانوس المرتد.

٨) تمت هذه المحاولة في شتاء عامي ٣٦٢-٣٦٣ م.

وأنهم أرادوا إعادة بنائه، دليل على ذلك هو أن الأساسات لا تزال موجودة حتى اليوم عارية، لكي تعلم أنهم حاولوا الحفر، لكنهم لم يتمكنوا من البناء، لأن قرار المسيح هذا كان يعارض عملهم هذا. على الرغم من أن هذا الهيكل قد دُمر سابقًا، لكنه بُني بعد سبعين عامًا، مباشرة بعد عودتهم من السبي، وأصبح أكثر روعة من السابق، وهذا قاله الأنبياء وتنبأوا به قبل أن يحدث.

أما الآن فقد مرت أكثر من أربعمائة عام ولا يوجد أي تفكير ولا توقع ولا أمل في أن يُعاد بناء الهيكل مرة أخرى. وبالطبع، ما الذي يمكن أن يمنعهم، إلا القوة الإلهية التي تعارض؟ ألا يوجد وفرة من المال لديهم؟ ألا يملك بطريركهم كنوزًا لا حصر لها بجبايته الضرائب من الجميع أينما كانوا؟ أليست أمتهم جريئة، وقحة، مشاكسة، مليئة بالغطرسة ومحبة للحرب؟ ألا يوجد الكثير من اليهود في فلسطين، ألا يوجد الكثير في فينيقيا، ألا يوجد الكثير في كل أنحاء العالم؟

فكيف إذن لم يتمكنوا من إعادة بناء هيكل، بينما كانوا يرون أن عبادتهم بسبب هذا الأمر كانت مقيدة في كل مكان، وأن العادات اليهودية قد اختفت، وأن الذبائح والقرابين وكل الأمور الأخرى المتعلقة بها التي أمرت بها الشريعة قد أُلغيت وتوقفت؟ لأنه لم يكن مسموحًا لهم، لا أن يقيموا مذبحًا، ولا أن يقدموا ذبيحة، ولا أن يسكبوا سكائب، ولا أن يذبحوا خروفًا، ولا أن يقدموا بخورًا، ولا أن يقرأوا الشريعة، ولا أن يقيموا عيدًا، ولا أن يفعلوا أي شيء آخر مشابه خارج أبواب الهيكل.

١٦. ولكن أيضًا عندما وجدوا أنفسهم أسرى في بابل وأُجبروا من قبل الأعداء على الترنيم، لم يتراجعوا، ولم يطيعوا، على الرغم من أنهم كانوا أسرى وعبيدًا لأسياد كانوا يسيئون إليهم؛ ولكن حتى عندما فقدوا وطنهم وحريتهم وكانت حياتهم نفسها في خطر وكانوا متروكين في أيدي الغزاة كأنهم في فخ، وحُثوا على الترنيم

بالآلات تلك الترنيمة، قالوا ما يلي: «على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا... لأن هناك سألنا الذين سبونا كلام ترنيمة... كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟» (مزمور ١٣٧: ١-٤).

ولا يمكن لأحد أن يقول إنهم لم يفعلوا ذلك لأنهم لم تكن لديهم الآلات؛ لأنهم هم أنفسهم قالوا السبب، قائلين: «كيف نرنم ترنيمة الرب في أرض غريبة؟». ولكنهم كانوا يملكون الآلات معهم. لأنه يقول: «على الصفصاف في وسطها علقنا أعوادنا» (مزمور ١٣٧: ٢). حتى أنه لم يكن مسموحًا لهم بالصوم. وهذا ما أعلنه النبي قائلاً: «فهل صمتم لي صومًا هذه السبعين سنة؟ يقول الرب» (زكريا ٧: ٥).

ولكن أنه لم يكن مسموحًا لهم بالذبح ولا بتقديم السكائب، اسمع الفتية الثلاثة يقولون: «وليس لنا في هذا الزمان رئيس ولا نبي ولا قائد... ولا موضع لنقرب أمامك ونجد رحمة» (دانيال ٣: ٣٨). لم يقل "ليس هناك كاهن"، لأنه كان هناك كهنة، ولكن لكي تعلم أن كل شيء كان يعتمد على المكان وأن كل الشريعة كانت مرتبطة به، قال: «ليس هناك مكان».

ولماذا أقول لم يكن مسموحًا لهم بالذبح وتقديم السكائب؟ لم يكن مسموحًا لهم حتى بمجرد قراءة الشريعة، وهو الأمر الذي اتهمهم به نبي آخر ذات مرة، قائلاً: «وأذيعت تطوعات» (عاموس ٤: ٥)؛ ولا عيد الفصح، ولا عيد الخمسين، ولا عيد المظال، ولا أي شيء آخر مشابه يمكنهم إقامته.

وهكذا، على الرغم من أنهم كانوا يعرفون أن خراب المكان قد حرمهم من كل هذا، وأنهم بمحاولتهم فعل أي من هذه الأمور، فإنهم يحاولون ذلك بشكل غير قانوني ولهذا يعاقبون، إلا أنهم لم يتمكنوا من إعادة بناء الهيكل، الذي كان مسموحًا لهم فيه بأداء كل هذه الأمور وفقًا للشريعة. لأن قوة المسيح التي بنت الكنيسة، هي

التي دمرت هذا أيضًا. وهذا تنبأ به النبي، أي أن المسيح سيأتي وسيفعل كل هذا، على الرغم من أنه عاش بعد السبي.

اسمع إذن ما يقوله: «من أجلكم ستُغلق أبواب الهيكل ولن يوقد مذبحي بعد مجانًا. ليست مسرتي بكم... لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم بين الأمم، وفي كل مكان يقرب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة» (ملاخي ١: ١٠-١١).

هل رأيت بمدى وضوح رفضه لليهودية، وأظهر المسيحية تضيء وتنتشر في كل الأرض؟

ولكن طريقة العبادة أعلنها نبي آخر: «ويسجدون له كل واحد من مكانه، ويخدمونه بكتف واحدة» (صفنيا ٢: ١١؛ ٣: ٩)؛ وآخر يقول مرة أخرى: «سقطت عذراء إسرائيل، لا تعود تقوم» (عاموس ٥: ٢). ولكن دانيال أيضًا يروي كل هذا بوضوح، أي أن كل شيء سيلغى، الذبيحة والسكيبة والمسحة والوصايا. ولكن هذه الأمور، عندما أتحدث إلى اليهود، سأطورها بشكل أوضح وأكثر تفصيلاً؛ أما الآن فلنستمر في الطريق الذي نسير فيه، مصححين جدال الوثنيين الحمقى.

لم أحدثك، لا عن قيامة الموتى، ولا عن البرص الذين طُهروا، حتى لا تقول، كل هذا كذب، تباهي وأساطير. من رأى هذا؟ من سمع هذا؟ أولئك الذين قالوا إنه صُلب وإنه لُطم على عينيه، هم الذين قالوا هذه الأمور. فكيف إذن تعتبرهم موثوقين في تلك الأمور، بينما ترفض هذه الأقوال كأنها لم تحدث؟ على الرغم من أنهم لو كانوا يكتبون هذا من أجل معلمهم، متباهين دون سبب وبلا جدوى، لكانوا قد صمتوا عن الأحداث المحزنة وتلك التي يعتبرها الكثيرون مخزية.

أما الآن، فلكي يظهروا حقيقة هذه الأمور، تحدثوا بإسهاب كبير عن تلك ورووها كلها بدقة وتفصيل كبير، دون أن يتجاوزوا شيئًا تافهًا أو مهمًا؛ والآيات

والمعجزات بالطبع، أغفلوا معظمها، أما الآلام وتلك التي تعتبر مخزية، والتي يهتمون بها بشكل أساسي، فقد رووها جميعًا بدقة.

لكنني لم أذكر أيًا من هذه، أعني المعجزات والآيات، لأسد قدر الإمكان كل لسان وقح، بل تلك التي هي واضحة الآن، تلك التي هي الآن أمام أعيننا، تلك التي هي أوضح من الشمس، تلك التي هي منتشرة في كل المسكونة، التي سيطرت على العالم كله والتي تفوق في تحقيقها كل طبيعة بشرية والتي هي أعمال الله وحده، هذه فقط ذكرت.

ماذا تقول؟ ألم يقم موتى؟ هل يمكنك أن تقول أيضًا إنه لا توجد كنائس في كل مكان على الأرض؟ هل أنهم لم يُتآمر عليهم؟ هل أنهم لا يسودون ولا ينتصرون في كل مكان؟ ولكن كما لا يمكنك أن تقول إنه لا توجد شمس، كذلك لا يمكنك أن تنكر هذه الأمور. فماذا إذن؟ ألا ترى دمار الهيكل اليهودي الذي هو أمام أعين كل المسكونة؟ لماذا لا تفكر: "لو لم يكن هناك إله، وإله قوي، كيف كانوا سيزدادون كثيرًا، على الرغم من الإزعاجات، أولئك الذين يؤمنون به، بينما أولئك الذين صلبوه وحاربوه، أُذلوا كثيرًا، لدرجة أنهم حُرموا حتى من وطنهم، ويتجولون اليوم في كل مكان كالمشردين والهاربين والمتجولين، ولم يخلصهم أي زمن من أي من هذه الأمور؟".

على الرغم من أن هؤلاء، هؤلاء اليهود، أعلنوا الحرب على الرومان وحملوا السلاح ضدهم وواصلوا مواجهتهم الحربية لفترة طويلة وفي وقت ما انتصروا وخلقوا للأباطرة آنذاك مشاكل كثيرة وكبيرة؛ كانت قوتهم عظيمة إلى هذا الحد.

ولكن مع ذلك، هؤلاء الذين حاربوا ضد كل هؤلاء الملوك واصطفوا ضدهم، الذين كانوا يملكون كل هذه القوة المالية والأسلحة والجنود، وطردوا الجنرالات وآلافًا آخرين، لم يتمكنوا من إعادة بناء هيكل. لقد بنوا مجامع بالطبع في العديد من المدن، لكن الهيكل، الذي كان يمنح مكانة لنظامهم السياسي والذي كانوا معتادين

على أداء كل شيء فيه، والذي منه كان يتكون اليهودية، هذا وحده لم يتمكنوا من إعادة بنائه.

الفهرس